

# أقرأ

سلسلة ثقافية شهرية  
تصدر عن دار المعارف

---

[٣٥٣]

رئيس التحرير: **رجب البنا**

obeikandi.com

دكتور سعيد عبده

# غرد عوك ففالوا!

الطبعة الثالثة



دار المعارف

إن الذين عنوا بإنشاء هذه السلسلة  
ونشرها ، لم يفكروا إلا في شيء واحد ،  
هو نشر الثقافة من حيث هي ثقافة ،  
لا يريدون إلا أن يقرأ أبناء الشعوب  
العربية . وأن يتفعوا ، وأن تدعوهم  
هذه القراءة إلى الاستزادة من الثقافة ،  
والطموح إلى حياة عقلية أرقى وأخصب  
من الحياة العقلية التي نحيها .

**طه حسين**

# البَابُ الْأَوَّلُ

## فِي الطَّبِّ وَالصِّحَّةِ



خدعوك فقالوا :

## إن الطب فن علاج الأمراض !

أفقت من نومي ليلة الثلاثاء ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٦٢ على صوت جهير يجلجل في الراديو قائلاً : « كما أن الهندسة فن البناء ، والطب فن علاج الأمراض ، فإن الأدب فن دراسة الحياة ... » أو شيئاً من هذا القبيل فيما يتعلق بعجز المقال .

وأحسست غصة في صدري ، وشعرت أنني أهنت كطبيب ، واستحالت الإهانة إلى لطمة حين عرفت بعد لأي أن المتكلم إنما يروى عن سلامة موسى - المفكر الفذ - آراءه في الأدب والأديب .

إن هذا التعريف السقيم للطب سقطة لا شك فيها من هذا المفكر الفيلسوف ، فالطبيب يشترك معه في علاج الأمراض - من وجهة نظر الناس على الأقل - حلاق القرية ، والدجال كاتب الأحجية والتأمم ، والحجاج عبد السلام العطار ، ونخالي الحاجة ست الدار . ولكل منهم في « فن علاج الأمراض » عملاؤه ومجده وديناه . ولو قصر الطبيب عمله وفنه وعلمه وجهاده على مجرد علاج الأمراض لما حق له أن ينتظر من الناس أكثر من الحظوة والمكافأة التي يناهما أمثال هؤلاء الزملاء ! .. هذا إن نال من الحظوة ومن ثقة الناس مثل ما يحظى به أولئك الأدعياء .

ولو صحح هذا التعريف المقيم للطب وصحح إسناده إلى سلامة موسى لكان حريماً بالهندسة ألا تكون فنناً للبناء - كما قال الراوى عن هذا المفكر الكبير - وإنما تكون فنناً لترميم الجدار المنهار ، وإصلاح « السيفون » العاطل ، وجبر الصنبور المكسور !!

إن الطب فن وعلم يستهدف إطالة العمر ، وتدعيم الكفاية البدنية والعقلية ، وتوفير الانسجام التام مع المجتمع ، والطاقة الكافية للإنتاج ، والمتعة المعقولة بالحياة ، وتوقى الأمراض ، وعلاجها إذا حدثت ... وهذا أضعف الإيمان ! ... فهو علم وفن للبناء أكثر منه علماً وفناً لترميم . وهو بهذا المدلول يبدأ حيث يبدأ تعليم الشعب ، ورفع مستوى الدخل القومى ، وتحسين التغذية الشعبية ، والتخطيط الحكيم للأسرة ، وتوفير البيئة الآمنة من الخوف والتعقيد للأطفال ، وتعميم المساكن الصالحة ومياه الشرب النقية والمجارى ، ومكافحة الحشرات الناقلة للأمراض ، والرعاية المنتظمة للأمهات والأطفال والتلاميذ والعمال ، والفحص الطبى الدورى للأصحاء والمرضى على السواء ، للعمل على زيادة الأولين صحة ، والعمل على اكتشاف أمراض الآخرين وهى فى بدايتها حيث تكون أسهل ما تكون علاجاً ، وأحمد ما تكون عاقبة ، وأقل ما يكون علاجها نفقات ، وتوعية الناس لحقوقهم وواجباتهم الصحية ، وطرق الوقاية من الأمراض ، والعادات السيئة التى تعود على عافيتهم وقوتهم بالوبال .

إن دور العلاج فى هذا البرنامج المتكامل الضخم - على أهميته وخطره دور متواضع ، لا يتعالى إلا ليوم يخفق الطب فى تحقيق أهدافه

الكبار . . . إنه دور السباك الذى يرمم ويصلح ويحبر ، ولكنه لا يبني ولا يشيد .

نعم : إن المجتمع فى حاجة إلى المهندس والسباك معاً ؛ ولكن حاجته إلى المهندس أكبر بكل تأكيد !

والتأمل فى هذا الحصر الشديد الإيجاز - بل القاصر - لوظائف الطب الرشيد يدرك فى الحال أن بناء السد العالى مثلاً يصنع للطب فى بلادنا ما لا يستطيع مستشفى قصر العيني أن يفعل عشر معشاره ؛ ولست أبغى التهوين من شأن مستشفى قصر العيني ، أو نعمط ما له من حسنات وأفضال . . وإنما أريد الموازنة ليس إلا ؛ بين خير وخير : يكمل كل منهما الآخر ، ولا يستغنى أى منهما عن الآخر . . الموازنة بين طب يبنى ؛ وطب يعكف على ترميم الأطلال !

إن من سوء حظ الطب بهذا المدلول الواسع ؛ أن الأطلال المرمة هى التى تلفت أنظار الناس . أما القصور المشيدة للصحة وللوقوة والعافية ؛ فهى قصور لا تراها إلا أعين العارفين ؛ وهى ككل تبجان الصحة التى يلبسها الأصحاء فلا يراها إلا المرضى . . إن الطبيب الذى يحق التيفود فى بيئته . أو يقضى على الدفترىا ؛ أو ينقص إصابات البلهارسيا ، أو وفيات الأطفال الرضع إلى النصف ، لا يذكر له الناس من الفضل ؛ ربع أو عشر ما يذكرونه من فضل طبيب استأصل لفرد منهم زائدة دودية ملتهبة . أو أزال مرارة عاطلة ، أو فرج عنه كرب ألم عنيد ! والأم التى تحمى ولدها من عدوى الجلدزى باللقاح الواقى من هذا المرض ؛

قد تفعل ذلك وهي كارهة ، ولعلما تدرك أو تذكر أن هذا اللقاح قد وقى  
 ابنها من الموت أو العمى أو التشويه ؛ الذى كان واحداً منها أو أكثر ،  
 حرياً أن يصيبه يوماً ما ، لو وقع فريسة للمرض الذى كان قبل  
 إكتشاف هذا اللقاح كالقدر المقدور على أكثر خلق الله . . إن الناس  
 لا يهتمون بضر لم يصيبهم أو محنة لم يأخذوا منها بنصيب .

ولعل هذه الضريبة هي أسوأ ضريبة يدفعها الطب الوقائى الاجتماعى  
 الرشيد . . إنه طب فدايى ، أكبر دليل على فدايئته أن مفكراً عظيماً  
 كسلامة موسى ؛ ينظر إليه نظرة ابلهال ؛ ويقول عنه إنه فن علاج  
 الأمراض !

إنها سقطة لا شك فيها من هذا المفكر الفيلسوف ؛ والكريم يعثر ،  
 والعصمة لله . فما عرفت تعريفاً للطب أسقم ولا أضل ولا أتفه من هذا  
 التعريف ، برغم بنوته لهذا الوالد الجليل !



خدعوك فقالوا :

إن الصحة مجرد خدمات

« لا يستطيع أن يستوعب العلم من لا يملك الصحة » .  
 كذلك قال رئيس الوزراء السابق الدكتور محمود فوزى ، فى  
 حديث له مع الأستاذ محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام .  
 والصحة التى يتحدث عنها الدكتور فوزى ، ليست هى الصحة  
 بمفهومها السلبى للشائع ، أى مجرد الخلو من الأمراض ، ولكنها الصحة  
 بمدلولها الإيجابى الحديث ، أى تمام الكفاية البدنية والعقلية والاجتماعية ،  
 التى هى الترجمة الأصيلة للعافية ، والقوة ، والطاقة ، والحوية ، والالتزان  
 العاطفى المكتمل ، والقدرة على حب الناس ، وعلى التعامل معهم ،  
 وعلى المتعة المعقولة بالحياة .

إن هذا النوع من الصحة هو الذى يجعل قدرة المتعلم على التعليم  
 أكبر ، ويجعل قدرة العامل على الإنتاج أكفأ وأشد ، ويجعل خسائرتنا  
 القومية الباهظة أقل ، من العجز المبكر للعامل ، وتخلفه المستمر عن عمله ،  
 وضعف تركيزه عليه ، وبالتالي زيادة أخطائه فيه ، ومن إخفاق كثير  
 من التلاميذ غير الأصحاء فى التعليم ، بعد أن تكون الدولة قد أنفقت  
 عليهم ، سدى ، كثيراً من الأموال .

إنه النوع من الصحة القادر على الحد من استهلاكنا المخيف للأدوية ، وهو يبلغ الآن أكثر من خمسين مليوناً من الجنينيات كل عام ، ونقول هل من مزيد !

إنه النوع من الصحة الذى يجعل سرير المستشفى الواحد ، بدلا من أن يستوعب مريضين أو ثلاثة مريضى بأمراض مستعصية على العلاج ، كل عام ، يستوعب خمسين أو مائة مريض ، بأمراض لا تنزل فى بدايتها ، سهلة العلاج ، مضمونة الشفاء ، بأقل التكاليف .

### لكل مرض قصة

إن الأمراض لا تهبط علينا من السماء ، ولكن كلا منها حصيلة تفاعلات متعددة وطويلة المدى ، بين البيئة والإنسان . .  
ثم إن الأمراض ليست حالات ثابتة ، ولكنها عمليات دائمة التطور ، إما إلى أحسن وإما إلى أسوأ وما لم تواجه بدفاع متين من جسم قوى سليم ، وما لم يقطع عليها الطريق قبل حدوثها ، أو فى بدايتها بالاكشاف المبكر والعلاج السريع فقد تزامن ، وقد تعجز صاحبها عن العمل ، وربما استعصت على كل علاج ، وربما قادت أصحابها ، فى سن مبكرة ، إلى حيث لا يرجع الذاهبون ، بعد تكبد نفقات فى الفحص والعلاج تتحدى أحيانا كل قدرة على التحمل ، سواء من الدولة أو من الأفراد .  
بهذين الاعتبارين فى أذهاننا نستطيع أن ندرك قيمة المكاسب التى تعود علينا من ممارسة الطب بقدر أكبر من الروح الوقائية التى تستهدف

تدعيم الصحة كقوة ، وتوقى الأمراض قبل حدوثها ، والعمل على اكتشافها المبكر إذا حدثت حتى يمكن دفع أذاها بالعلاج السريع .  
 إن أكثر من تسعين في المائة من أمراضنا قابل للعلاج المثير الحاسم السريع إذا أدرناها في أوائلها قبل أن تستفحل ، وتزمن ، وتستعصى على العلاج . .

حتى السل ، حتى السكر ، حتى السرطان : حتى الشيخوخة المبكرة . .  
 كلها تخضع خضوعاً سحرياً للاكتشاف المبكر والعلاج الحاسم السريع . .  
 كلها تستجيب في بدايتها للعلاج ، ربما دون حاجة للإقامة في المستشفى ، وربما دون حاجة لأى تعطل عن العمل ، ودائماً دون حاجة للضلال الأعمى في متاهة المضاعفات والأدوية والعقاقير .

### خدمات .. وإنتاج

إن الفارق بين هذا الطب الوقائى فى هذه المستويات الثلاثة المثمرة :  
 تدعيم الصحة ، وتوقى المرض ، واكتشافه فى بدايته ، وطرده بالعلاج السريع . . . وبين الطب العلاجى الشائع فى بلادنا ، هو نفس الفارق الذى عناه الدكتور فوزى حين قال فى حديثه : « لا يجوز أن ننظر إلى الصحة على أنها خدمات ، ولكن يجب أن ننظر إليها كإنتاج للتقدم » .  
 إنه الفارق بين البحث عن الأمراض ، وبين انتظارها حتى تستفحل ، وتزمن وتستعصى على العلاج ، وربما تقود أصحابها إلى المستشفيات ، وهم يلفظون النفس الأخير . .

إن هذا النوع من الطب العلاجي الشائع في بلادنا ، طب انتظار المرضى حتى يأتوا إلينا من تلقاء أنفسهم ، طب ورثناه عن عهود الاستعمار ، ولم نستطع التحرر من نيره حتى الآن . .

### الغزل الطبي المحرم

يومئذ كان هم المستعمر كله مغازلة عواطف المرضى ، بتخفيف ألم المتألم ، وتفريج كرب المكروب ، وكان يتلقى عن ذلك دعوات الشكر والامتنان ، ويضمن في الوقت نفسه الزواج لسوق الدواء في بلاده ، كما يضمن ترك الأمراض ترعى في البيئة ، فيعجز الشعب عن التفكير في النهوض أو الحرية أو الاستقلال .

وتوارثنا هذا النوع من طب الخدمات والاستهلاك جيلا عن جيل ، كل جيل يسلم الراية السوداء إلى الجيل الذي يليه ، وكل لائحة من لوائح كليات الطب تسلم بذوره التعسة إلى اللائحة التي تخلفها ، بكل تمنياتها الطبية ، ويكمل ما تملك من راحة البال ، وهندوه الضمير .

### درهم الوقاية

إنها محنة من محن التعليم الطبي في بلادنا ليس المشول عنها الأطباء ، بمقدار ما يسأل عنها المخططون للتعليم الطبي ، الذين قضوا في مناهج هذا التعليم على كل أمل في غرس الروح الوقائية في طالب الطب منذ بداية دراسته ، حتى متهاها ، وغرسوا بدلا منها فكرة الطب كمجرد

علاج . مجرد خدمات ، مجرد سماع وقارورة دواء . . كنوع من التعامل المادى مع المرضى ، أكثر من التعامل الروحى مع الأصحاء . والطبيب الذى ينشأ على هذه الفلسفة معذور إذا هو لم يعرف كيف يسهم فى الصحة للإنتاج . . إن فاقد الشيء لا يعطيه !  
ولقد كان للطب الوقائى ركن متواضع فى مناهج التعليم الطبى ، ولكنه كان على الدوام ، كدرهم من الوقاية ، تائه فى قنطار من العلاج !

### الذئاب تتلمظ !

ومن أعجب العجب أنه حتى هذا الدرهم الوقائى التمس بدأ عمالقة الطب العلاجى التقليدى ، وهم بحكم العدد والمنزلة ، سادة هذا التعليم وظغاته ، بدءوا - فى اللائحة الجديدة لتطوير التعليم الطبى - يتلمظون تلمظ الذئاب لآلئهم . . فإن لم يستطيعوا . فلقص أجنحته ، ورتف البريش من حواشيه ، وجعله مجرد « مادة » من المواد التى يتلقاها طالب الطب ، بعد أن تكون فكرة العلاج والدواء قد غرست فى ذهنه ، وأبغبت ، وبسطت ظلها الظليل .

### من أين الوقت ؟

إننا ندعو إلى إعادة النظر فى هذه اللائحة الجديدة ، بقصد تطويعها لغرس الروح الوقائية فى ذهن طالب الطب من أول يوم فى دراسته الطبية . إلى آخر يوم فيها . وتدريبه على ممارسة الطب الوقائى

في المجتمع ، بالإقامة الكاملة شهراً - على الأقل - بين الناس يتعامل معهم ، ويبحث معهم مشاكلهم ، وطرق حلها ، في مرحلة من دراسته ، يكون فيها قادراً على فهم هذه المشاكل وعلى ممارسة هذا النوع من التعامل مع الناس .

إن الوقت الذي يخصص لهذه الأهداف في التعليم الطبي يجب أن يقطع بسخاء من الوقت المخصص حالياً لتفقيه طالب الطب في ألوان من المرض في الطب والجراحة ، قد لا يقدر له أن يراها طول حياته ، أو يتعامل معها بأي حال من الأحوال .

### ممارس عام

إن المطلوب من كليات الطب أن تخرج لنا ممارساً عاماً ، يمارس الطب بفلسفته الحديثة ، ويعرف عن المجتمع ، وعن الصحة بمفهومها الإيجابي أكثر مما يعرف عن نادر الأمراض .

إن عدد الأمراض التي يتعامل معها الطبيب في المجتمع هو بالتأكيد أقل من خمس عدد الأمراض التي يتحتم عليه في دراسته الحاضرة أن يصلح فيها ويجول !

ولعلنا - على ضوء دعوة الدكتور فوزى - نستطيع أن نشكل لائحة التعليم الطبي الجديدة ، بحيث ينال الطالب من دراسته شيئاً أغلى وأحسن من هذا الفتات الذي يتركه له سادة التعليم الطبي وطغاته ... الأطباء .  
العلاجيون .

وبهذا وحده نستطيع أن نحقق أمل الدكتور فوزى . . « إن أنفع  
استثمار للمستقبل هو الاستثمار في الإنسان ، والاستثمار في الإنسان  
مستحيل بغير التعليم والصحة » .



خدعوك فقالوا :

إن واجب الطبيب ينحصر في علاج مرضاه

علاج الطبيب للمرضى في المستشفى أو في الوحدة الصحية أو في عيادته الخاصة هو من أهداف الطب المتعددة . ولكنه أدنى هذه الأهداف قيمة وأهونها شأناً وأقلها ثمراً وأكثرها نفقات . إن المرضى - ومرضانا بنوع خاص - بحكم العلاقات المريبة منذ غابر الأزمان بينهم وبين الأطباء قلماً يقصدون الطبيب إلا بعد أن يستنفدوا كل وسائل العلاج الأخرى من طب الإعلانات إلى الوصفات الشعبية ، إلى التبرك بالأولياء إلى الحرافات الراسخة الجذور في نفوسهم بحكم العرف والعادات والتقاليد ، وحين يدب اليأس في نفوسهم يقصدون الطبيب كالأدوية أخيراً بعد أن يكون الداء قد تمكن وأزمن ، وربما استعصى على العلاج ، وبدأ سرير المستشفى يفتح ذراعيه لاستقبال ضيف مقرر المصير !

بين القرش و ... الجنينه

إن المرض عملية متطورة تتقدم تقدماً حثيثاً بالإهمال وتتقهقر أمام التدخل الرشيد . والمرض الذي يعالج في بداية أمره بقرش ويشفى يتطلب علاجه حين يزمن مئات الجنينيات ، ولا تشفى منه إلا الأعراض . لذلك أصبح الطابع الملحوظ للطب العلاجي الحديث في كثير من البلاد

المتحضرة ، هو طابع البحث عن الأمراض بين الأصحاء لاكتشاف ما يعانون من أمراض لم تعلن عن نفسها بعد ، أو أعلنت عن نفسها ولكن بمثل صراخ الطفل الوليد ، وتعقب هذه الأمراض بالعلاج السريع ، ثم إعادة فحصهم دورياً بقدر ما لدى الطبيب من الوقت والإمكان . . .

### مانعة صواعق

إن هذه السياسة الطبية الحديثة تمنع كثيراً من المآسى ، وتلطف كثيراً من الكوارث ، وتوفر كثيراً من أسرة المستشفيات ، وتحول بين أنفسنا وبين سفاهاتها الحالية في استعمال الدواء . إنها باختصار مانعة صواعق ! لقد جربناها بنجاح كبير في مراكز رعاية الأمومة والطفولة حيث يفحص الحوامل والأمهات والأطفال دورياً وتعالج أمراضهم قبل أن يحسوا لها بأعراض . . . . وجربناها ونجحنا نجاحاً ملحوظاً في حرب الدرن والأمراض التناسلية حيث يفحص عن هذه الأمراض على نطاق واسع ، فإذا اكتشف مريض لم يقتصر أمر العلاج عليه ، ولكن يتعداه إلى مخالطيه في البيت ، وربما في مكان العمل للعثور على مصدر عدواه من جانب ، واكتشاف الحالات المبكرة من المرض بين هؤلاء « الأصحاء » من جانب آخر ليعالجوا في وقت يكون العلاج فيه أضمن وأنفع ما يكون . ولقد بدأنا نجرب استعمال مانعة الصواعق هذه في المصانع بين العمال ، وفي المدارس بين التلاميذ ، وفي الوحدات الصحية الريفية ،

ولكن ما زال بيننا وبين النجاح الساحق في هذه الميادين شوط طويل .

### جهد الثور

إن الأوف من أبنائنا طلاب الطب القدامى منهم ، والجدد الذين يقبلون في كليتنا الطبية كل عام ، خليون أن يتعلموا منذ اليوم وفي كل يوم ، أن جلوس الطبيب في مقره انتظاراً للمرضى الذين يأتون إليه ، إن جاز للطبيب الممارس في عيادته فهممات أن يجوز لأطباء المؤسسات الصحية الذين يكون انتظارهم للمرضى دون البحث عنهم انتظاراً مفاجئاً للمرضى أنفسهم ، وللصحة العامة ، ولميزانية الدولة ، ولأرصدتنا من الدواء . ومالي أستغنى الممارس الخاص من واجب الانتفاع بمناعة الصواعق وهو يتعامل مع مرضى لكل منهم أسرة يعيش أفرادها مع المريض في البيئة نفسها ، وفي الظروف نفسها ، وكثيراً ما يصابون بالأمراض عينها . ومن حق مريضه عليه أن يسأل ، ولو مجرد السؤال على الأقل : عن هؤلاء الأفراد وإلا أصبح جهده في علاج المريض كجهد الثور الدائر في ساقية خربة يرفع الماء من جانب ليعود الماء من الجانب الآخر إلى حيث كان .

### تطور الإسكاف

إننا نسمع كثيراً عن تطوير التعليم الجامعي وتطوير التعليم الطبي بنوع خاص ، وكل ما نرجوه ألا يكون تطويراً شكلياً كذلك الذي رواه أحد

كبار الأدباء عن إسكاف أراد أن يتطور فكتب على محله « طيب أحذية! »  
 إن الذى نريده من تطوير التعاليم الطبي أن يشمل تغيير الجلد والصنعة  
 والأدوات والأهداف لتغيير اللافئات والأسماء . نريد تعليماً طيباً  
 يعطينا أطباء لا يتعاملون مع أسرة مستشفياته ، ولكن يتعاملون مع  
 مجتمع ، ومع مرضى من الناس وراء كل منهم بيئة مسيطرة ، وأسرة  
 ولكل منهم حاجات ومصالح وفوق كنفى كل منهم هموم وأحمال . . .  
 نريد أطباء لا يتعاملون مع المرضى بقدر تعاملهم مع الأصحاء . والله  
 تعالى قادر أن يعطينا ما نريد .



## خدعوك فقالوا :

### إن التمريض في مستشفياتنا يتقدم !

إما أن الخامة التي تصنع منها الممرضة الصالحة لا توجد في تربة بلادنا بقدر كبير ، وإما أن الخامة موجودة - وهذا هو الأرجح - ولكن تصنيعها يحتاج لتخطيط جديد .  
والذي أعنيه بالتصنيع هو اختيار الخامة الطيبة ، وإعدادها الوافي وتدريبها الدعوب ، إلى الحد الذي يعينها على أن تقوم على الوجه الأكمل ، بأداء وظيفتها الإنسانية النبيلة التي نسميها التمريض .  
إن الطب بغير التمريض الصالح يصبح كالشجر المثمر الذي يضيع ثمرة هباء .

### ثلاثة عهود

لقد حاصرت في حياتي ثلاثة عهود للتمريض . بدأ العهد الأول منها في أوائل هذا القرن حين كانت في بلادنا مدرسة واحدة للتمريض ، مركزها مستشفى قصر العيني القديم ، وكانت تشرف عليها ناظرة أجنبية يساعدها عدد من الممرضات الأجنيات . وكانت طالبات المدرسة

يخترن من بين المتقدمات على يد لجنة ، كان من بين أعضائها أستاذ معمم من أساتذة دار العلوم كانت معاييرها في الاختبار « الشكل المقبول ، والوجه الباسم ، واللفظ الحلو ، في غير ميوعة ولاسوقية ولا ابتذال » وهي الأشياء التي فقدنا كثيراً منها في طالبات مدارس التمريض في الوقت الحاضر ، حيث تختار الطالبات بمجموع الدرجات !

وكانت الشهادة الابتدائية التي تعد المؤهل الثقافي لدخول هذه المدرسة ، تحصل عليها الفتاة في سن الخامسة عشرة أو حول ذلك ، فإذا قبلت في مدرسة التمريض في السابعة عشرة دخلتها ومعلوماتها ما زالت غضة لم ينلها ذبول .

وكان تلميذات المدرسة في ذلك الحين يخضعن لتدريب محكم عنيف ، تحت أعين لا تغفل ، وأيد تخفي تحت قفازاتها الحريرية صلابة الحديد .

وفي هذا العهد كانت الممرضة الأجنبية تمر بالمرضى ثلاث مرات في اليوم ، تسأل معظم المرضى عما إذا كانوا أخذوا الدواء ، وسجلت لهم الحرارة ، وعما إذا كان أحدهم يشكو من تقصير ، والويل للممرضة - أو تلميذة التمريض - التي كان يثبت عليها إهمال في أداء ما عليها من واجبات . . . ولقد رأيت في ذلك العهد ممرضة تفصل من المدرسة لتقصيرها مرتين متواليتين في للقيام بكافة التزاماتها نحو مريضة عاجزة في السرير .

## الرعييل الأول

لقد تخرج في هذه المدرسة جيل عظيم من الممرضات ، يؤلفن العهد الثاني من العهود الثلاثة ، الذى بدأ فى أواخر العشرينات أو حول ذلك ، وامتد حتى أواخر الأربعينات ، بعد خروج الممرضات الأجنبية من البلاد .

لقد أفاد هذا الجيل من الممرضات ، الجيل الذى تلاه كثيراً ، ومارس بالروح نفسه تدريب الممرضات ، وإن كانت قبضتهن بدأت تراخى ، وبدأ الأطباء والمرضى يتدمرون من التمريض ، وبدأت تدب في المدرسة روح الاضمحلال تحت عدة اعتبارات . .

وكان من هذه الاعتبارات بدء انتشار التعليم العام ، والحصول على الشهادة الابتدائية فى سن مبكرة ، مما جعل كثيرات من خريجات هذه الشهادة يحصلن عليها فى العاشرة أو الحادية عشرة ، ثم تمضى البنت ست سنوات فى الحارة حتى تصل إلى السابعة عشرة ، فإذا ذهبت بعد ذلك إلى مدرسة التمريض ، ذهبت إليها فى الأغلب بعقلية الحارة ، وبعد أن تكون قد نسيت ما تلقته من ثقافة ، أو أفادته من تعليم .

والاعتبار الثانى هو البدء فى الأخذ بمبدأ اختيار الطالبات على أساس مجموع الدرجات ، دون نظر إلى شخصياتهن ، وما إذا كان من الممكن أن يكون لهن أى مستقبل فى مهنة التمريض ، أى بدون اعتبار للخامة التى صنعن منها ، والتي لها الأهمية الكبرى فى مهنة التمريض .

وساعد على تفخيم هذا الاعتبار ضعف المرتبات التي كانت الممرضة تحصل عليها في ذلك الحين ، مما جعل كثيرات من الخدامات الطبية تنصرف عن مدرسة التمريض .

وكان الاعتبار الثالث هو بداية ظهور الضعف واللامبالاة وفي الإشراف على تدريب الطالبات ، ولا سيما بعد التوسع الهائل الحديث في إنشاء المستشفيات ، وازدياد الحاجة إلى أعداد ضخمة من الممرضات ، والاضطرار إلى إنشاء مدارس متعددة للتمريض في مختلف كليات الطب بالجامعات الجديدة من جانب ، ثم في المستشفيات الكبرى بوزارة الصحة من جانب آخر ، بدون أن يكون لدينا العدد الكافي من المدرسات والمدربات الصالحات .

ولقد أقمت في مستشفى قصر العيني في ذلك العهد ، مريضاً بضعة أشهر متوالية ، وكانت رعايتي موكولة إلى ممرضة مفروض أنها كانت من أحسن الممرضات ، فكانت تترك هذه الرعاية إلى عوادي وزواري ، وتقضى معظم وقتها تغازل طبيباً من الأطباء في شرفة قريبة ، وقد أصبح الطبيب اليوم من كبار الأطباء ، ودفعت هي ثمن طيشها المبكر ، وقلة الرقابة عليها ، ضياعاً في مجاهل النسيان .

### الموقف الآن

وجاء العهد الثالث من عهود التمريض الثلاثة منذ أواخر الأربعينات ، وتميز هذا العهد يجعل الشهادة الإعدادية هي المؤهل الأدنى لقبول

الطلّابات في مدارس التمريض ، وعلى الرغم من أن هذا المؤهل قد ساعد كثيراً على تحسين المستوى الثقافي العام للممرضة إلا أنه لم يعوض قط عن تفاهة الخامة في كثير من الأحيان ، ولا عن ضعف مستوى التدريب في كافة الأحوال .

ولقد أتبع لي حديثاً أن أفضى حوالي شهرين في أحد مستشفياتنا الكبرى التي نستطيع أن نفخر بمن فيه من صفوة الأطباء ، ومن أحدث أجهزة التشخيص والعلاج ، ولكنني أحاول أن أفخر بمستوى التمريض فيه - كما كان المأمول - وخصوصاً بعد أن طعم هذا التمريض بخريجات المعهد العالي للتمريض ، فيراوغني الفخر بلؤم ، ويفر من يدي فراره من مجذوم !

نعم إنى رأيت في هذه المحنة ممرضات كثيرات ، جديرات بنبيل الرسالة التي يؤدنها في المستشفى ، ولكن جدارتهن مستمدة لسوء الحظ من خاماتهن الطبية أكثر مما هي مستمدة من حسن الإعداد والتدريب .. على أن يجاوزهن أخريات يستنكفن مثلاً من مساعدة المريض العاجز على أداء ضروراته ، أو يقضين معظم أوقانهن على جهاز التليفون يحدثن بعضهن البعض في حين أن أجراس حجرات المرضى تدق بلا جواب ، أو ينمن نوماً والمفروض أنهم ساهرات .

### عودة إلى النظام القديم

إن الحالة التي وصل إليها التمريض لا يمكن أن تصلح بغير العودة

إلى النظام القديم في الإشراف المحكم على تدريب المرضعات ، ولو على أيدي مدربات أجنبيات ، يدربنهن بالأيدي الحديدية المغطاة بقفازات الحرير .

ومن يك حازماً . . فليقس أحياناً على من يرحم !

إن خريجات المعهد العالی للتمريض اللاتي كن نرجوهن لهذا الإشراف المحكم قد تعلمن كثيراً ، ولكن تدریبهن على الإشراف كان أقل وأضعف من أن يمنحهن أكثر مؤهلات الإشراف . . إنه أعطاهن قفازات الحرير ، ولكنه بكل أسف لم يعطهن شيئاً من صلابة الحديد !  
إنهن حقيقة :

يخطرن في حلال الدمقس عرائساً

ويهن في فلك الجمال بدورا

وهذا شيء جميل بطبيعة الحال ، ولكنه ليس كل شيء في التمريض ،  
أو في الإشراف على التمريض !!

## أمل

إننا نطمع في عهد جديد رابع للتمريض - تحس فيه ممرضاتنا أنهن أمهات ، بكل ما في كلمة الأم من مضمون . . فما من أم تهمل صرخة طفلها العاجز إلا أن تكون غير جديرة بحمل لقب الأمومة العظيم .

خدعوك فقالوا :

إن العلم هو كل شيء في نجاح الطبيب

الكلمة الطيبة، والفم الباسم واللسان المتفائل، والعلم، والاطلاع،  
والتجربة... هي الخامات الجوهرية التي تصنع منها شهرة الطبيب...  
ولكن هذه الخامات وحدها لا تكفي، إذالم يظاهاها « الحظ » الذي  
هو الدلال الأول لهذه الشهرة في سوق الحياة...

إن الحظ هو « البشارة » التي تسمح أخطاء الطبيب...  
وهو العائق غير المنظور الذي يحول بينه وبين عيادة مريض يلفظ  
نفسه الأخير...

وهو البلمس الإلهي الذي يجعل « سترات الصودا » في يده آلة للشفاء !!  
إنه هو وحده القادر على أن ينفخ في شهرة الطبيب فتملاً الآفاق.  
أو يضائل من شأنها حتى تنحصر تحت سقف دكان !!

والذين يصلون إلى القمة من بين الأطباء كثيراً ما يكفرون بالخط  
ونعمته، وكثيراً ما يزعمون أن البيض الذهبي الذي كانوا يعثرون عليه في  
الطريق هو بيض العلم والمعرفة والاجتهاد، ولكن العلم والمعرفة والاجتهاد  
قلماً تبيض الذهب - ولا سيما في الطب الذي لا يزال يضرب في تيه  
من المجاهل حتى الآن - ثم إن الحظ قلماً تخني « قوقاته » وهو يبيض !!

ولقد لعب الحظ معي أنا بالذات لعبة سمجة؛ او جاءت في وقتها  
 لطفرت بي في سلم الشهرة عشر درجات ، وبداية السلم هي أشق  
 ما فيه ، فإن سلم الشهرة تنبسط درجاته كثيراً كلما اتجهنا إلى أعاليه .  
 كنت يوهئذ أطلب الطب في سنواته الأخيرة ، وأتيح لي أن أشهد  
 حالة مريضة من ذوى قرباى ، اختلف في تشخيص مرضها الدكتور  
 فيليب والدكتور سليمان عزمى ( باشا ) ، وكانا أستاذى الأمراض الباطنية  
 في قصر العيني ، وأشهر أطباء مصر في ذلك الحين ، فرجح عزمى ( باشا )  
 سرطان الكبد ، ورجع الدكتور فيليب حصوات المرارة ، واتفقا معاً  
 على أن يعطيا المريضة فائدة الشك ، فيصفها لها أدوية لحصوات المرارة  
 مع المورفين . .

ولم يغن الدواء ، ووافى المريضة أجلها المحتوم .  
 ومرت أشهر ، وجاءنى ذات يوم صديق من أصدقائى يسألنى أن  
 أعطى شقيقته حقنة مورفين ، وقال لى في الطريق : إن ثلاثة من كبار  
 الجراحين قد شخصوا مرضها سرطاناً في الكبد ، ويشوا من شفائها ،  
 فوصفوا لها المورفين دفعاً لآلام السرطان .

ولم تكدهينى تقع على المريضة حتى تذكرت في الحال قريبتى المتوفاة ،  
 فقد كانت الصورتان أشبه ما تكون إحداهما بالأخرى ، من حيث النحول  
 البادى ، والاصفرار في الوجه والعيون ، والألم المستبد بالتقاطيع .

وفيا أنا أعقم المحقن ، دارت في خيالى المناقشة التى سمعتها بين عزمى  
 ( باشا ) والدكتور فيليب منذ بضعة أشهر ، وقلت لى نفسى مادام سرطان

الكبد يلتبس بحصوات المرارة حتى في أعين هذين العلمين من أعلام الطب ،  
فلماذا لا تعطى هذه المريضة أيضاً فائدة الشك ، وتعالج من الحصوات ؟؟  
واستبدت بي الفكرة ، فتوقفت وقاحة الطالب الناشئ ، وقلت  
لصديقي : ألم يصف الجراحون لشقيقتك غير المورفين ؟  
قال كلا ..

قلت : إن شيئاً ما يقول لي إن المرض حصوات في المرارة ، فلم  
لا نحاول علاجها من هذه الحصوات ؟!  
ووجدت ترحيباً بالفكرة شعرت معه بالزهو والغرور ..  
وكتبت لصديقي الدواء نفسه الذي وصفه يوماً ما عزى (باشا) والدكتور  
فليب للمريضة المتوفاة ، وبحماسة الطالب الناشئ ، زدت جرعة الدواء  
حتى وصلت بها إلى أقصى ما يمكن أن تكون ، تعجيلاً لظهور النتيجة ،  
إن كان ثمة أمل في الشفاء ! !  
وعدت إلى بيتي فوجدت ضميرى هناك كالعمل السيئ ، جالساً  
القرفصاء ، متحفزاً للنضال ! !

قال لي ضميرى : مالك أنت وممارسة الطب وأنت بعد تلميذ ؟ !  
وما الذي يحدث إذا لم تتحمل المريضة الدواء فقصت نجحها بعد  
احتساء أول فنجان ؟ !

ومن أنت حتى تضاعف جرعة ذواء وصفه أساطين الأطباء ؟ !  
وحاولت جهدى أى أقنع ضميرى بأنى أردت الخير ولا شئء سواه ،  
وأن المريضة ميتة ميتة ، إن لم يقتلها الدواء قتلها السرطان ! ..

ولكن ضميرى لم يقتنع ، وراح يهول لى الأمر ، ويتهمنى بالإجرام ،  
ويرسم لى صورة مظلمة من حياة السجون ، ويلج على أن أعود إلى  
صديقى ، فأعترف له بحماقتى ، وأدفع له ثمن الدواء ، وأحطم قواريره  
قبل أن يبلغ الشر مداه . . .

وظلمت طول الليل أتلقى من ضميرى هذه اللطمات ، وألعن نفسى  
على هذا التطفل الممقوت ، ولكن ضوء الصبح لم يكده يسفر حتى كان  
ضميرى قد أضناه التعب فنام ، تاركاً لى مرارة السهد ، وقسوة القلق  
ما خشيت أن يكون . . .

واتخذت أول قطار إلى الإسكندرية ، وقلت أمتع نفسى قليلا ،  
وليكن بعد ذلك ما يكون . . .

ورحت أشتري الصحف كل يوم ، صباحية ومسائية ، حزبية  
ومستقلة ، بلا استثناء ، فلا أقرأ فيها إلا ركن الوفيات ، متوقفاً أن أقرأ  
نعى المريضة ، وأسلم نفسى فوراً لأقرب مركز للبوليس !!

ولكن الأيام مرت دون جديد ، وانتهت إجازتى الصيفية بعد ثلاثة  
أسابيع ، فعدت إلى القاهرة ، وكان أول ما خطر ببالي أن أمر بمسرح  
الجريمة لعلى أجد هناك ما لم أجد فى أنهر الوفيات . . .

بيد أن بيت صديقى كان مستغرقاً فى الهدوء والسكون . . .  
بل إن قبساً من الأمل بدا لى عندما رأيت زوج المريضة ، خارجاً  
من البيت ، وليست على وجهه سمة من سمات الحزن ، ولا فى ملابسه  
أية شارة للحداد . . .

وأعطيت نفسى إجازة في هذه الليلة من قراءة الوفيات ، ورحت وأنا مضطجع في سريري أقرأ الصحف لأول مرة كما يقرؤها عباد الله ..  
وفجأة دق جرس الباب ، فجلت من مضجعي مذعوراً لغير سبب  
إلا توقع الشر المجهول ..

ووجدت بالباب صديقي .. ولكن في غير ما قدرت أن أراه .  
كان مهمل الوجه بالبشر ..  
وفوق ذلك فقد تجاهل يدي الممدودة ، واحتواني في حضنه المفتوح !!  
لقد فعل الدواء بشقيقته فعل السحر في عشرة أيام !!  
منذ ذلك اليوم أدركت أن شهرة الطبيب ليست دائماً بنت العلم  
والمعرفة والاجتهاد ..

ومنذ ذلك اليوم أخذت أفر من صديقي ومن المرضى الذين كان  
يرسلهم إلى حتى عندما نقل .. إلى العريش !!  
وعندما تخرجت في كلية الطب ، أخذت أبحث عن بيض الحظ  
الذهبي في طريقي .. ولكن الدجاجة الملعونة - بعد أن أصبحت في أمس  
الحاجة إلى بيضتها - أخذت « تقوق » عندى ، وتبيض عند الآخرين .



obeikandi.com

# الباب الثاني

## في الجسم الانساني



٦

خذعوك فقالوا :

**إن الإنسان مخلوق كامل !**

ليس أبعد من جسم الكائن البشرى عن الكمال . .  
 في كل عام يموت ألوف من الأجنة في بطون أمهاتهم ، ويموت  
 ألوف من الأطفال في المهد ، لأن قوانين النبو ليست بلا أخطاء . . .  
 ادخل أى متحف من متاحف الطب تجد مئات من هذه الأخطاء  
 على شكل مسوخ لم يستقم تكوينها مع الحياة .  
 وادخل أى غرفة للتشريح تجد أعضاء موضوعة في غير موضعها ،  
 أو زوائد في جسم ما لا يوجد لها أشباه في سواه .  
 بل افتح عينيك وأنت سائر تصادف مئات من العيوب البدنية  
 في الطريق . . . هذا « أعلم » وهذا « أشرم » ، وهذا له أصبع سادسة  
 في يده أو قدمه ، وكلها هي وأمثالها أخطاء في التكوين .  
 وليست ظاهرة التوائم إلا خطأ من هذه الأخطاء ، فإن القانون العام  
 أن تبيض الأنثى في كل شهر من شهر خصبها بيضة واحدة ، يلحقها  
 حيوان منوى واحد ، فيكون إنساناً ، فإذا باضت الأنثى أكثر من  
 بويضة ، ومنيت كلها بالإخصاب ، انتهت كل بويضة إلى جنين .

وإذا باضت بويضة واحدة أخصبها أكثر من حيوان منوى واحد ، كانت النتيجة التوائم الأشباه . .

وتحت هذا الخطأ العام قد توجه أخطاء جزئية ، فإن التوأمين بدلا من أن يولدا منفصلين ، يولدان بينهما وشيجة من اللحم والدم ، والاشترار في بعض الأنسجة أو الأحشاء . .

وقد يذهب هذا الخطأ إلى آخر مداه فيولد أحد التوأمين حياً ، يحمل في عضو من أعضائه قبرا يثوى فيه رفات أخيه ! . . وثمة أمثلة عديدة لمثل هؤلاء التوائم يكشفها الطبيب على شكل أورام في جسم التوأم الحى تسمى أورام « التيراتوما » وقد تستحيل هذه الأورام إلى سرطان من أخطر أنواع السرطان ينتقم فيها قابيل الميت من هابيل الحى ، لحرمانه إياه من الحياة . .

وكثيراً ما تستأصل هذه الأورام دفعا لشرها فتوجد فيها عجائب ، فن أظافر بشرية ، إلى أصابع ، إلى يد كاملة ، إلى فك وافي الأسنان إلى خصلة من الشعر ، إلى عظمة من هنا أو هناك ، إلى قلب لم يعرف الحفقان ، إلى عضو كامل من أعضاء جسم الإنسان ! ! . .

وما أكثر النكت التي يسخر فيها الخالق من حقارة المخلوق ! ! . .



## ٧

خدعوك فقالوا :

### إن الإنسان تحدر من أصلاب القرود

إن تشارلس داروين - الوالد الروحي لعلم أصل الأنواع - لم يقل قط « إن أصل الإنسان قرد » ، ولكن خصومه - وكانوا في وقته كثيرين - هم الذين وجهوا إليه هذا الاتهام جهلاً بتعاليمه ونكابة فيه . وكان أشد خصوم داروين بلحاجة في خصومته واحداً من كبار رجال الإكليروس في زمنه هو المطران ويلبرفورس ، وكان خطيباً لا يشق له غبار وإن كانت فصاحته كما وصفها أحد معاصريه ، من نوع فصاحة الطبل الأجوف ، القليل الجدوى والعالى الطنين . انتهز هذا المطران فرصة اجتماع أقامته الجمعية البريطانية سنة ١٨٦٠ في أكسفورد لتستمع لمحاضرة عالم أمريكى عن « التطور العقلى لأوربا على ضوء نظرية داروين » ، فاختر أن يجعل هذا الاجتماع ميداناً لمعركته الكبرى مع هذه النظرية ومن كسبت من أنصار .

وظهر منذ البداية أن المستمعين السبعمائة الذين اكتظوا في قاعة الاجتماع ، ومن بينهم رهط كبير من رجال الإكليروس ، وعدد طيب من الطلاب ومن نساء المجتمع ، إنما جاءوا للاستماع للمطران وللإشتراك في تشييع جنازة داروين ، الذى وعد المطران أن « يبحث

نظريته من جذورها ، وأن يحو اسمه من قائمة الوجود . ولم يكن داروين نفسه موجوداً ، فقد كان رجلاً معتل الصحة على الدوام « برغم أنه عاش ٧٤ سنة ، من ١٨٠٨ إلى ١٨٨٢ » ، وكان يعاف المجتمعات إلا أن صديقه وزميله وتلميذه الدكتور هكسلي كان هناك .

وبعد نصف ساعة من الكلام الفصيح والمغازلات المتبادلة بين جمهور المستمعين والمطران الخطيب ، الذي كان مجلسه على المنصة بين الضيف الأمريكي وبين رئيس الاجتماع اختتم المطران هجومه قائلاً في نغمة هادئة ، وابتسامة ساخرة : « إن نظرية التطور نظرية لا أصل لها ولا أساس ، فالصقر لم يكن إلا صقراً منذ خلق ، والحمامة لم تكن إلا حمامة منذ بدأ الله الأكوان » .

ثم التفت إلى هكسلي قائلاً وفي عينيه نظرة زاخرة بالتهكم ، وبين شفثيه ابتسامة كبيرة مصطبغة بلذع السياط : « لكم كنت أود أن أعرف منك ياسيدي لأى جدّيك أنت مدين بأصلك الذى تقول إنه من أصلاب القرود ..! » فأجاب هكسلي : « إن النظرية التى يشير إليها المتكلم تدور حول مهبط الإنسان والقرود من أصل مشترك ، خلال آلاف الأجيال . ومع ذلك فإدام السؤال الموجه إلى عاطفياً ، وليس بحاجة إلى البحث العلمى الهادئ الرزين ، فليسمح لى السائل أن أقول : إنى لو خيرت بين القرود ذلك الحيوان الطيب ، المسكين المهرج ، القليل الذكاء ، وبين الإنسان حين يؤتى حظاً عظيماً من المقدرة والمواهب ، وبالجلال السامى على كل جلال ، فبأبى إلا أن يستغل ذلك كله فى تحقير الباحثين عن الحقيقة - لو خيرت بينهما أيهما أختار ليكون

جدى ، لترددت طويلاً جداً في أى الاثنين أختار !

ويقول هكسلي بعد ذلك في مذكراته إن النظرية الجديدة لم تتحطم يومئذ تحت سنابك السخرية اللاذعة ، ولكن قدر لها أن تجد من يستمع لها ، وأن ينتشر صداها في الآفاق ومن الغريب أن أحداً ما من علماء التطور لم يقل قط. إن الإنسان تحدر من أصلاب القروود . وداروين نفسه يقول بصريح العبارة في كتابه « مهبط الإنسان » إننا لا ينبغي أن نقع في خطأ الافتراض بأن الأصل الذى نشأ منه الإنسان يشبه فى كثير أو قليل أياً من النسانيس أو القروود التى تعيش الآن وغاية ما يقوله داروين ويتفق فيه مع سواه من علماء أصل الأنواع أن القروود العليا والإنسان تحدرت من أصل واحد . لم يعرف بالتأكيد حتى الآن . ولا بد أن يكون هذا الأصل مرتبطاً بالطين الذى هو أصل كل الأحياء .

ولقد خلص داروين فى كتابه « مهبط الإنسان » إلى أن الإنسان ليس مديناً بسموه على سائر الحيوان . إلى خاصية واحدة من خصائصه ، أو سجية من سجاياه ، وإنما الفضل فى ذلك لعدد كبير من هذه الخصائص والسجايا . منها اعتدال القامة ، ومنها اليدان ومرانها الباهر على العمل الدقيق ، ومنها عقله الذى يسر له اكتشاف الآلات واللغات . ولقد عدّ داروين عقل الإنسان أثراً من آثار تكيفه للبيئة ، وسلاحاً من أسلحة النضال الذى تحم عليه أن يخوضه فى معركة البقاء .

وعزا داروين الاختيار الجنسي على تطاول الأحقاب إلى أن المرأة أصبحت أحن من الرجل ، وأكثر مودة ، وأشد إيثارة ، وأن الرجل أصبح أشجع منها وأقوى ، وأصل ذكاء .

## خدعوك فقالوا :

### إن العقل السليم في الجسم السليم

ليس العقل السليم دائماً في الجسم السليم . . . فقد يعتل الجسم أحياناً ، ويظل العقل يتألت تآلت النجوم . . . وقد يعتل العقل أحياناً ، وترى جسم صاحبه أقوى وأصلب من أجسام البغال .  
 وفي التاريخ أمثلة عديدة لمئات من أصحاب العلل والآفات البدنية ، قرروا أن يقهروا متاعبهم ، وقهروها فعلاً ، وقاموا بأعمال مجيدة في الفن والعلم وخدمة البشر . . . ولعل كثيراً منهم ، كانت العلة الكامنة في أجسادهم ، وشعورهم بها ، هي حافزهم إلى المجد ، ومهمازهم إلى قهر المتاعب واقتحام المعالي بشجاعة وإقدام . . .  
 وفي هذا التاريخ كذلك أفراد يعدون بالملايين سلمت أجسامهم من الأمراض والآفات ، وامتألت رؤوسهم هواء . .

### ديون الآثام

إن المرض البدني قد يؤدي حقيقة إلى اختلال ميزان العقل ، ويكفي أن تراقب مصدوعاً في معاملته للناس ، أو ممدوداً في بغضه للحياة ، حتى تلمس مدى تأثير العلل البدنية في الاتزان العقلي والانسجام مع الحياة .

بيد أن العكس غير صحيح على الدوام ، فالجسم السليم لا يمكن بأى حال أن يكون ضمناً كاملاً لعقل سليم ، وكثيراً ما تحطمت عقول وانهارت أعصاب ، دون أن تصحب هذا الانهيار أية علامة من علامات المرض البدنى الخطير . . .

وأكثر من نصف مرضى كل طبيب ، ممن يعانون أمراض القلب والكبد والمعدة والأمعاء - وبالأحرى من يخيل لهم ذلك - ليس فى قلوبهم ولا فى معداتهم ولا أمعائهم شىء ، وإنما تنوى عليهم فى العقل والأعصاب... إنهم ضحايا اختلال عاطفى نشأ من صدمات المتاعب والمهموم والخوف والحقد والندم ، وفركبات النقص والهوان ، والضماير المثقلة بديون الآثام !

وقد عرفت علل العقول منذ وجدت البشرية . . . ومثل سائر العلل البدنية . آهت فى إهمدائها الشياطين التى تسكن الجسم الآدمى ، وتعشش فى رأس المريض . .

### قابل للكسر

وكانت وسيلة البشر الوحيدة لطرد هؤلاء الشياطين هى الرقى والتعاويذ ، وثقب الجمجمة حتى يخرج منها الشيطان ، وإغراق المريض بالمليينات والمقيثات لعل الشيطان ينزاح من جسمه مع فضول التبيء والإسهال !  
ولكننا الآن نعرف أسباباً أخرى لعل العقل منها الوراثة المسكينه ، والأضرار التى تصيب منح الجنين قبل ولادته وفى أثناء الولادة ، وبعد

أن يتعرض للحوادث وأمراض الجهاز العصبي في الحياة .  
 إن الوراثة تلعب دوراً في إضعاف العقول ، ولكنه يبدو دوراً  
 أضعف مما يظن الناس فإن كثيراً من المجانين لا يوجد في أسلافهم مجنون ،  
 وكثيراً من أصحاب العقول الراجحة ينحدرون من أصلاب مجانين  
 رسميين . . وقد يرث المرء من أسلافه جهازاً عصبياً من نوع « قابل  
 للكسر ! » ولكنه لا ينكسر . لأن صاحبه عاش في هدوء نفساني ،  
 لم تحدث له كوارث تعرض للكسر هذا الجهاز ! . .

### العقل الضرير

وأكثر من الدور الذي تلعبه الوراثة في الضعف العقلي ، الدور  
 الذي تلعبه الحوادث الطارئة والولادة بالآلات ، ومن أجل ذلك يقوم  
 الآن بعض أنصار الولادة الطبيعية من أطباء النساء بدعوة واسعة النطاق  
 للعودة إلى الولادة الطبيعية ، والتمهيد لها ببعث الثقة في نفس الأم ،  
 وحمايتها من المخاوف التي يبذرها في تربة نفسها العجائز والجيران ،  
 وبذلك يقل استعمال الآلات في الولادة ، ويقل معه الإضرار بمنح  
 الجنين المولود .

وأكثر حالات الضعف العقلي مرجعها إلى البيئة وأثر التربية  
 الأولى في حياة الطفل ، وتنشئته في جو تعس يقتل شخصيته ، ويهدم  
 استقلاله . ويتخلل الانسجام بينه وبين أهله وجيرانه ومواطنيه ،  
 ثم الصدمات العصبية العنيفة التي تصادف هذه الشخصيات المنهارة ،

فترقع أمامها ركوع الذعر والضعف واليأس والهوان . .  
 وأيضاً كان مصدر هذا الضعف العقلي ، فكثيراً ما يحدث - وبالأخص  
 في بداية الضعف - أن يكون هذا العقل الضرير في جسم سليم تماماً  
 وربما صلح للعمل في مصارعة الثيران . .  
 فالعقل السليم إذن لا يوجد دائماً في الجسم السليم !



خدعوك فقالوا :

إن العبقرية لا علاقة لها البتة بوزن الدماغ!

لم أكن ولدت يوم توفي الرسام العظيم « رافاييل » ، ولا يوم قضى نحبه الكاتب الفرنسي الكبير « أناتول فرانس » . وبالتالي فإنني لم أشترك في كتابة شهادة الوفاة لأى منهما ، كما لم أشترك بطبيعة الحال في تشريح جثتيهما ، وعلى ذلك فما أتيت لي أية فرصة لوزن دماغ أى منهما حينما مات . ولا أستطيع تبعاً لذلك أن أجيب بمنتهى الثقة عن سؤال لمواطن يقول فيه : « هل صحيح أن رافاييل الرسام وأناتول فرانس لم يكن وزن دماغ كل منهما يزيد على الكيلو جرام الواحد ؟ وأن العبقرية لا علاقة ألبتة بوزن الدماغ ؟ »

النادر لا حكم له

لعل مما يشجع تطلع المواطن السائل في هذا الصدد ما قرأته في كتاب للدكتور الفاضل محمد صبحى غنيمه بعنوان « نظرة في أعماق الإنسان » وفي مراجع أخرى ، من أن وزن دماغ رفاييل يوم مات كان ١١٦١ جراماً ، وأن وزن دماغ أناتول فرانس كان ١١٧٠ ، ولكن هل ينهض ذلك دليلاً على أن العبقرية لا علاقة لها بوزن الدماغ ؟

كلا بالتأكيد !!

فإن هاتين الحالتين من الحالات النادرة ، والنادر لا حكم له .  
والأكثر شيوعاً أن أدمغة العباقرة تميل إلى الضخامة على الدوام .  
ففي الوقت الذي يزن فيه دماغ الرجل البالغ في المتوسط ١٤٥٠ جراماً ،  
نجد أن الروائي الروسي الأشهر إيفان تورجنيف مثلاً كان وزن دماغه  
٢٠١٢ جراماً - والعهددة على نفس المراجع - وأن بسمارك السياسي  
الألماني الداهية في القرن التاسع عشر كان دماغه يزن ١٨٠٧ جرامات ..  
وأن وزن دماغ الفيلسوف الفرنسي « كانت » كان ١٦٠٠ جرام ،  
وأن الشاعر الألماني شيللر كان دماغه يزن ١٥٨٠ . وهي أوزان  
تفوق كلها متوسط وزن الدماغ في سواد الناس .

ثم إن من المعروف أن الدماغ الذي يقل وزنه عن الكيلو جرام  
الواحد ، لا يوجد عادة إلا في المعاتية والبلهاء وضعاف العقول بوجه عام ! !

### العبقرية ليست بالرطل

على أن حجم الدماغ في ذاته قد لا يعنى شيئاً في حساب العبقرية  
والنبوغ . وإلا كان الرجل أذكى من المرأة على الدوام ، لأن متوسط  
وزن دماغه يزيد بعشرة في المائة على متوسط وزن دماغ المرأة « وسرى  
أن ذلك مرده إلى الفرق بين جسمي الاثنين » وهو استنتاج لا محل له  
لأن كثيراً من النساء يذهبن بأزواجهن إلى البحر ويعدن بهم عطاشي  
ظامئين !

إنما يتصل بالعبقرية أكثر من وزن الدماغ مسطح قشرته السنجابية

السمرء ، المحتوية على الخلايا العصبية التى تتلقى ملايين الانبعاثات العصبية وترد عليها بما يترامى لها من ألوان الاستجابات .

ومن المعروف أن هذا المسطح الذى كان ينبغي أن يكون مساوياً لمسطح الجمجمة من الداخل ، أى حوالى ٨٠,٠٠٠ « ثمانين ألف مليمتر مربع بالتقريب » يزيد على ذلك ثلاثة أضعاف فيصل إلى ٢٢٠ ألف مليمتر مربع ، وذلك لنمو هذه القشرة الهامة داخل أنسجة الدماغ على شكل تلافيف وأخاديد وشقوق تعطى الدماغ شكله المعروف .

ثم إن سملك هذه القشرة نفسه يلعب دوراً هاماً من هذه الناحية . فإن القشرة إذا سمكت وغلظت زاد فيها عدد الخلايا العصبية المذكورة ، ذات الوظائف الحيوية الهامة ، وذات الأشكال المتعددة ، حتى ليصل هذا العدد أحياناً إلى عشرة آلاف مليون أو يزيد . ويخرج من هذه الخلايا محاور عصبية شبيهة بأسلاك التليفون تصلها بمحطات أخرى فى الجهاز العصبى الغذ ، ثم بأجزاء الجسم كافة ، فتلقى منها مختلف الانبعاثات والأحاسيس ، وتستجيب لها بطريقتها الخاصة ، المستمدة من الوراثة تارة ، ومن الخبرة والتجربة تارة أخرى ، وبين هذه الانبعاثات والاستجابات المعقدة تضى الحياة إما فى سلام وإما بين زعازع وأعاصير . وللحس وللشاعر والنوم واليقظة والتبادل الغذائى وسائر وظائف الجسد ، كما للتفكير والإرادة والسلوك ، أجهزة مكونة من مجاميع معينة من هذه الخلايا ، يؤدى كل منها وظيفة بدأتها من وظائف الدماغ الحسية والعقلية والحركية والخلقية ، لا يتعداها إلى سواها مهما امتدت الحياة .

## عوامل أخرى

يضاف إلى ذلك أن الفص الجبهي في المخ ، وهو أحدث أجزاء الدماغ شموماً في الإنسان ، من المحتمل أن يكون فيه مشوي لكثير من المواهب العقلية المختلفة ، كالذاكرة والمعرفة وقوة الاستنباط .

ثم إن نسبة ما يختص من الدماغ بهذه الوظائف العليا بالنسبة لما يختص بالوظائف الحيوانية الدنيا ، هي كذلك ثقل من الأثقال في ميزان العبقرية والنبوغ .

هذا إلى أن نسبة وزن الدماغ إلى وزن الجسم كله لها أهمية قصوى في تحديد نصيب الإنسان من العبقرية أو الذكاء ، بل لعلها أكثر أهمية من الوزن المطلق للدماغ .

إن هذه النسبة في الإنسان تدل على أن الكيلو جرام الواحد من وزن المخ يخدم حوالي خمسين كيلو جراماً من الجسد ، في حين أن الأرقام المماثلة في الشمبانزي والغوريلا تصل إلى ١٥٠ و ٥٠٠ بالترتيب . ويخدم الكيلو جرام الواحد من وزن الدماغ في الفيل « وهو وزن ستة كيلوجرامات » ٥٠٠ كيلو من وزن الفيل .

والحالة أسوأ من الحوت حيث يجب على كل كيلو جرام من الدماغ أن يعنى بجوالى أحد عشر طنناً من وزن هذا الحيوان .

## نحن أذكى خلق الله

فنحن إذن أذكى خلق الله ولا فخر ، وإن كان المظنون أن

الدرفيل قد يضارعنا من حيث هذه النسبة . بين وزن الجسم ووزن الدماغ .

فن الدرأفيل - كما يقول أزيموف عالم البيولوجيا الشهير - مالا يزيد وزنه على وزن الإنسان ، في حين أن دماغه أثقل وأضخم من دماغ الإنسان ، وإن كان من غير المعروف ما إذا كان حظه من المراكز ذات الوظائف العليا . مثل حظ الإنسان ، أو أن هذه الضخامة ، كضخامة الجحيز ، ينصرف أكثرها إلى الوظائف السفلى للحيوان .

### الكلمة الأخيرة في الموضوع

وليسمح لي المواطن السائل أن أردد له في النهاية ما يقول أزيموف هذا :

« إن ثقل الدماغ وحده ، وإن كان آية من آيات الذكاء ، ليس الكلمة الأخيرة في هذا الموضوع » .



١٠

خدعوك فقالوا :

إنه ليس لك إلا خمس حواس

كتب أحد الأدباء في جريدة الأخبار عن الحاسة السادسة لدى المرأة ؛ فقال إنها هاتف أو إلهام يدفعها إلى القيام بعمل غير متوقع ، ثم تتبين بعد ذلك أن هذا العمل كان هاماً وضرورياً ، ولو أنه تم بغير قصد أو تخطيط ؛ وقال إنها حاسة يتمتع بها كل النساء ، وإن الملهمين فيها قلة بين الرجال .

ووصف هذه الحاسة بالسادسة فيه تجاوز كبير ، فالكائن البشري يملك على الأقل خمس عشرة حاسة ، وليس فقط خمس حواس . نعم إن الحواس الخمس هي السمع والبصر والشم والذوق واللمس ، واضحة لصاحبها تمام الوضوح ، لأن لكل منها عضواً خاصاً بها ، ولا يستطيع أن ينساها أو ينسى وظائفها ، وهو يتبين عن طريقها الأشياء .

ولقد عرف أرسطو هذه الحواس الخمس ، ولعله تلقى هذه المعرفة عن قدامى المصريين ، وظلت الحواس الخمس عندئذ تتردد على أقلام الكتاب واللسنة الشعراء كجزء من تركة الأفكار والعقائد والمفاهيم التي يتوارثها جيل عن جيل ، وإن كان الواقع أن المرء لا يملك خمس حواس فقط ، وأن حواسه أكثر من ذلك . وليس ما سأذكره منها في هذا المقال إلا طائفة بعينها من هذه الحواس :

## عبقرية الخلق

ففي الجلد غير حاسة اللمس ثلاث حواس أخرى معروفة لكل منا وهي حواس البرودة والسخونة ، ثم الضغط ، والألم الظاهر . ورغم أن هذه الحواس موجودة كلها في الجلد مثل حاسة اللمس تماماً ، فإن لكل منها مستقرًا في الجلد غير مستقر اللمس . ويستطيع العارف بوظائف الأعضاء ، أن يرسم خريطة على الجلد لهذه الحواس التي تتقاسم الجلد ، وإن كان لكل منها موقع خاص بها . . . وهنا تبدو عبقرية الخلق ، التي توزع في هذا الجزء المحدود مائتي ألف جهاز استقبال للحرارة والبرودة ، ونصف مليون جهاز استقبال لللمس والضغط ، وثلاثة ملايين جهاز استقبال للألم تشعرنا بملايين المؤذيات التي تحيط بنا في البيئة حيث نعمل وحيث نعيش .

## الثقل التقريبي للأشياء

وهناك الحاسة العضلية التي نستطيع بها تقدير الوزن التقريبي للأشياء ، ولكي ندرك حقيقة هذه الحاسة نتصور ساعة موضوعة على نضد بجوار سرير نضطجع فيه . . . فلو وضعنا يدنا على هذه الساعة لأحسنا وجودها باللمس ، كما نحس وجودها بالعين ، وكما نحس بأذنانا الصوت الرتيب لدقاتها التي تتحيف ببطء أعمارنا وعمر الزمان ، ولقد نحس الساعة باردة بالقياس إلى جلدنا الدافئ ونحن مضطجعون

في السرير تحت اللحاف . . فإذا رفعنا الساعة بيدنا من فوق النضد استطعنا بهذه الحركة أن نضيف إلى معارفنا السابقة عنها معرفة جديدة ، لم تكن تخطر لنا قبل هذه الحركة على بال ، وهي معرفة الثقل التقريبي لهذه الساعة . ومن المؤكد أن الحاسة التي أمدتنا بهذه المعرفة الجلدية لا علاقة لها باللمس ، وإلا أدركناها ونحن نلمس الساعة . . وإنما علاقتها بالعضلات ، وشعور المقاومة الذي نحسه لثقل الساعة في عضلات الذراع .

### نحن والوطاويط

ثم هنالك حاسة الأبعاد التي يستطيع المرء بها وهو مغمض العينين أن يحكم على بعده أو قربه من الحواجز والجدران ، من غير أن يراها أو يلمسها ، وهي حاسة يشتد نموها في العميان ، حتى ليمشى أحدهم في المكان الذي يألفه بدون عكاز أو دليل ، وبدون أن يمد يديه إلى الأمام يتحسس بهما الطريق ، ولهذا نراه قبل أن يصطدم بحاجز أو جدار يتحول عنه ، مبتعداً عما يؤذيه إلى ما لا يؤذيه ، ولعل هذه الحاسة أو حاسة مشتقة منها هي التي تجعل كائناً كالوطاويط ، يطير في الكهوف المظلمة بسرعة البرق الخاطف لا يمس شيئاً ولا يصطدم بشيء ويسرى في منحرجات الكهف سريان الصاروخ الموجه نحو هدف يبتغيه .

### الساعة الخامسة إلا رباعاً

وفوق ذلك فإن لنا حاسة أخرى لتقدير الزمن ، وحسي في الإشارة

إليها أن أذكر هذا الفريق من الناس الذين تنمو فيهم هذه الحاسة نمواً، خاصتاً فيأوى أحدهم إلى الفراش وهو يضع نصب عينه أن يستيقظ في ساعة معينة ، ليصلي الفجر حاضراً ، أو يلحق القطار ، أو يذهب إلى موعد هام فيستيقظ في الوقت المحدد نفسه مهما طال به ساعات السهر ، ومهما بلغ استغراقه في النوم ... إن حاسة تقدير الزمن موجودة بقدر أو آخر في كل إنسان ، ولكن لهذا الفريق من الناس منها نصيب كبير ملحوظ .

### أين نحن في الفضاء

وفي عضلاتنا حاسة أخرى تشترك معها فيها أربطة المفاصل وكذلك العظام ، وهي حاسة « الموقع » أي الشعور بمكاننا من الوجود ، وهو الشعور الذي يستجيب للجهاز العصبي للأحاسيس الصادرة منه فيأمر العضلات أن تتخذ هذا الوضع أو ذاك ، ويلزم الحدود التي لا بد منها لتتزن أجسامنا في الفضاء حين نقوم وحين نقعد وحين نجرى وحين نسير ، بل حين يتعب جنب فنقلب على الجنب الآخر دون وعي منا ونحن نيام ، أو حين نرقص على جبل أو نمشي بين مائين على فاصل بينهما من الأرض كالصراط .

### حواس أخرى

وثمة حاسة الامتلاء وهي حاسة باطنة ، تنبعث من المثانة أو الأمعاء لتنبهنا أن هذه الأحشاء قد اكتظت بالفضول ، وأن أوآن تفرغها قد

آن . . . ومثلها من هذه الناحية حواس الشيع والجموع .

## قلب الأم

تلك أربع عشرة حاسة ، وليست الحاسة « السادسة » المزعومة ،  
وهي الهاتف الخفى الذى يأمرنا بشيء أو ينهانا عنه دون قصد أو تخطيط ،  
فنتطيعه ، فيكون لنا فى طاعته خير كثير ، ليست هذه الحاسة إلا  
الحاسة الخامسة عشرة بين هذه الحواس ، ولعل نصيب الأم من هذه  
الحاسة فى كل ما يتعلق بسلامة أولادها هو أوفر الأنصاء . وإنى لأذكر  
من هذه الناحية حادثاً وقع لى ذات ليلة وأنا شاب ، فقد طلبت عشائى  
ثم دخلت الحمام ، وكان به موقد بترول كبير لتسخين الماء ، فتسممت  
من أول أكسيد الكربون الذى ينشأ من نقص الأوكسجين بسبب احتراق  
البرول والفحم فى الأماكن المغلقة ، وأخسست فى رأسى بالدوار ،  
وفى عضلاتى بالضعف والوهن ، وكانت آخر حركة قدرت عليها قبل  
أن تدركنى غيبوبة التسمم ، أن أفتح محبس الهواء فى الموقد ، وكان  
هذا لطف الله ، وكانت أمى - يرحمها الله - سيدة مسنة ، وسألت  
عنى فقيل لها إننى عدت واستحمامت وتغشيت وأويت إلى الفراش  
ولكنها لم تقتنع وظلت تعيد السؤال وتتلقى الجواب نفسه ؛ فقامت بعد لآلى  
تتوكأ على الجدران فى الظلام حتى أتت فراشى ، فلم تجدنى . وكان  
هاتفها الخفى أو حاستها الخامسة عشرة سبباً فى إنقاذى من الهلاك ،  
وأنا ملقى على أرض الحمام ثلاث ساعات تائهاً فى غيبوبة الاحتضار .

## الأرقام الصغار

ليس مما يتفق مع الواقع إذن أن نتحدث عن حواسنا الخمس ،  
 فحواسنا أكثر من خمس ، وأكثر من عشر ، بل أكثر من الحواس الخمس  
 عشرة التي أشرنا إليها إشارات عابرة في هذا المقال . إن أجسامنا التي هي  
 آية من آيات الله في الخلق والإبداع لا تعرف مثل هذه الأرقام  
 الصغار !



عدهوك فقالوا :

إنك تهرم في الستين

ليس للهرم من الناحية العلمية سن معينة ، وللشيخوخة في أعمار البشر ميقات محدد ، فبعض الناس يهرمون في الثلاثين ، أى في السن التي كان ينبغي أن يزدهر فيها الشباب ؛ وبعض الشيوخ يتألقون في السبعين والثمانين . إن الشيخوخة لا تقاس بعدد السنين التي قضيتها من عمرك ، ولكن بالقدر من الطاقة والقدرة على العمل المنتج ، والقابلية للاستمتاع بالحياة ، والتمكن من إفادة الناس . لقد يهن العظم في الشيخوخة حين تجيء ، ويتغصن الجلد ، ويشتل الرأس بالشيب ، إن كان بقي فيه من الشعر ما يمكن أن يشتعل ، وقد تمنى الذاكرة بشيء من الوهن ، وقد تبطئ سرعة النشاط ، وتقص الرؤية بالليل ، وتتخلخل قوة الملاحظة ، وكل ذلك نتيجة للتصلب التدريجي في الشرايين ونقص جارية الدم التي تحملها للأنسجة والأحشاء . بيد أن هذه السمات كلها مرهونة برصيد الإنسان الوراثي من قوة البنية وصحة الشرايين ، والجردان نفسها في أفاص التجارب ، تنجب من الذرية ما يبقى شبابه طويلا ، وما يشيخ في بواكير الشباب . ويعزز هذا الرصيد الوراثي من هذه الناحية نوع الحياة التي يحياها المرء ، وهل يحياها بحكمة ، أو هو يعربرد فيها بالعرض والطول ؟ ثم نظامه الغذائي وعاداته في الطعام ، ومقدار

نشاطه البدني والعقلي ، وما يصاب به بحكم الظروف أو نتيجة التفريط والإهمال من أمراض وآفات ، والناس يختلفون أشد اختلاف في هذه الأرصدة كافة ، بعضهم دائن ، وبعضهم مدين ، وبعضهم يفرقه الدين همياً بالليل ومدلة بالنهار . ولقد كان برنارد شو الكاتب الروائي يتألاً بالصحة البدنية والعبقرية الذهنية وهو فوق الثمانين . واستطاع تشرشل أن يقود بلاده إلى النصر في الحرب العالمية الأخيرة وبعد هزيمتها الكبرى في دنكرك ، وهو فوق السبعين . وما هو ذا شارل ديغول رئيس جمهورية فرنسا السابق قد ملأ الدنيا وشغل الناس وهو في التاسعة والسبعين . وليس هؤلاء الساسة بدعاً من هذه الناحية ، ولا هم خوارق أو معجزات ، ففي محيط كل منا معمرون انحنى أكتافهم تحت وقر السنين ، ولا يزالون يعملون بجبروت الشباب الممتزج بنجربة الشيوخ ودرابهم ومعارفهم : إن السن لم تكن قط معياراً للصحة والعافية والنشاط والقدرة على الإنتاج والمتعة بالحياة ، والذين سنواً قوانين الإحالة إلى المعاش في سن الستين ، إنما استوحوا هذه القوانين من متوسطات الأعمار التي كانت سائدة في شعوبهم وقت إصدار هذه القوانين . في بلادنا مثلاً كان متوسط الأعمار حين صدر هذا القانون أقل من ثلاثين عاماً ، وكان من المعقول أن تصبح سن الستين بداية لسن العجز أو الوهن البدني أو العقلي لكثير من الناس ، فأما وقد بلغ هذا المتوسط في بلادنا اليوم ، وحسب إحصاء سنة ١٩٦٠ ، اثنين وخمسين عاماً ، بفضل الإصلاح الصحي الدائب والانتعاش الاقتصادي العام ، وبفضل العصر الطبي

الذى يجب أن نزهى بالحياة فيه ، والذى أولانا كثيراً من النعم فى الطب والجراحة والتخدير والعقاقير الشافية لكثير من الأمراض التى كانت تمهد للعجز وتحترم الحياة ، والعقاقير والنظم الحيوية المؤجلة للشيخوخة ، والتى أصبحت اليوم موضوع علم مستقل خطير—أما والأمر كذلك فإن من الظلم أن نستمر على النظر إلى قدرة الإنسان وطاقاته فى سن الستين بالعين التى كان ينظر بها أجدادنا إليها ، أى اعتبار أبناء الستين « كخيل الميرى العطالنة » التى لا يصلح لها إلا ضرب للرصاص !!

نعم إن ذلك قد يصح فى بعض أصحاب المهن القاعدة التى لا يفارق أصحابها المكتب إلا إلى المقهى ، ولا يغادرون المقهى إلا إلى السرير ، وهى المهن التى توزن السنة فيها بستين فى موازين الصحة والعافية والكفاية البدنية والعقلية ، والتى تمد طرقاً سلطانية إلى الفناء التدريجى المبكر ، إذا لم يلتمس أصحابها لأنفسهم مجالاً للنشاط ، والرياضة البدنية ، يكافحون به غزوات الحمول والكسل للأنسجة والعضلات واستحالة الأغذية الفائضة عن حاجات الجسم إلى رواسب دهنية فى بطائن الشرايين.. كما أنه قد يصح فى بعض الصناعات الدقيقة التى تحتاج إلى قوة الملاحظة فى عتفائها ، وإلى مرونة حركة عضلات الأنامل على أقوى ما تكون ، وإلى اليقظة المرهفة فى الحواس بصفة مستمرة ، وسن الستين وما فوقها قد لا تسخو على صاحبها بمثل هذا الترف فى القوى والقدرات ، بيد أن من الثابت الآن فى المهن الذهنية بالذات ، أن الذاكرة وإن

وهنت بعض الشيء في بدء الشيخوخة فإن احتفاظ المرء بقوى الفطنة والخلق والإدراك كما يتوقف على رصيده الوراثي مرهون كذلك ، بما اكتسبه من المران العقلي في مراحل حياته ، وما ادخر من ذخائر المعرفة والثقافة على طول السنين ، وليست الذاكرة من هذه الناحية بالرصيد الذي لا يمكن تعويضه ، ولا هي بالمستلزم الضروري الذي يحتاج إليه الشيوخ ، ولا سيما العلماء ؛ وكلنا يعرف حكاية نيوتن والبيضة التي كان يضعها على أذنه ، والساعة التي كان يقذف بها في الماء المغلي على النار ! !

لقد رأيت فوجاً من الشيوخ حشدتهم لإحدى مقدمات البرامج في التليفزيون ، وكلهم من المخالين إلى المعاش . . أجلست جماعة منهم في الشمس كقتالة السلطان ، يمصون أصابعهم ، ويعدون الغربان في السماء ، ونظمت ثلة منهم في مقهى يقتلون الوقت الفارغ بالاستماع إلى قرعة حجارة النرد ، وهي « تضرب ، وتهرب ، وتملأ الخانات » ، ورصت فريقاً منهم تحت خميلة ظليلة ، أمرت سنة من نوم القيلولة أن تطوف بهم مصعدة بأحلام بلاهتهم البادية من شفاهم المدلاة ، إلى حيث تقف سفينة فينوس السوفيتية على سطح الزهرة في ملكوت السماوات ! ولست أدري في الواقع كيف اتفق للسيدة المذبةعة أن تجمع على ميكروفونها كل هذا الحشد من العجائز المتعطلين؟! لقد عرفت شيوياً بالمعنى السيئ الحظ الذي توحى به هذه الكلمة في خواطرننا ، يعملون وهم في السبعين من أعمارهم ، في بعض المحافل الدولية الفنية ، ويعدون

فيها كالمصاييح الهادية و « الفرامل » التي تحول بين العاملين في هذه الأوساط وبين جموح الشباب . ولقد كان سيدنى سميث الذي كان استاذاً للطب الشرعى في أوائل هذا القرن ، في جامعة القاهرة ، عميداً لكلية الطب في أدنبرة ثم مديراً لجامعتها ، وهو يخطو إلى السبعين .

ولقد حدث لى ذات مرة وأنا في بداية حياتى الطبية ، وكنت أعمل بقسم الأمراض في كلية طب القاهرة مع الأستاذ برنارد شو ، وهو ابن عم لبرنارد شو الكبير - وكان يقول لمن يسأله : هل يمت بالقراءة للكاتب المشهور ؟ إن هذا الكاتب هو الذى يمت لى بصلة القرابة ! . . . حدث أن كتبت في تقرير أصف فيه جثة سيدة متوفاة في الثالثة والأربعين من عمرها . إن الجسد جسد امرأة في وسط العمر ، فلم تكد عين الأستاذ تقع على هذا الوصف حتى انتفض كالذى لدغته عقرب ، وقال : إذا كنت تعدّ هذه المرأة - وهى في الخامسة والأربعين - متوسطة العمر ، فلا بد أنك تعدنى وأنا فوق الخمسين ، فى الغابرين ولم يتقدنى من لسانه الطويل - غفر الله له - إلا إثباتى له أن متوسط العمر عندنا يختلف تماماً عن متوسط العمر فى مسقط رأسه بإيرلندة حيث كان يقرب يومئذ من الستين ، وعرفت أستاذاً جامعياً مصرياً نصحه أطباؤه بسبب عاهة تخلفت عنده من جراحة فى المخ أن يهجر التدريس إلى آخر عمره ، وأن يتنحى عن كل نشاط اجتماعى فى الحياة ، ولكنه رفض النصيحة ، وقاوم وناضل ، وأخضع عاهته لأوان شتى من التأهيل ، وظل ولا يزال حتى السادسة والستين يمارس نشاطه ثلاثين سنة لم يلحظ عليه فيها أحد

شيثاً ، ولا حالت عاهته دون أى نشاط يطالب به أستاذ .  
وقد شاء صاحب مصنع سيارات مشهورة فى أمريكا حين خلف أباه  
على هذا المصنع حوالى ١٩٤٩ ، وهو فى عنفوان الشباب ، شاء أن يحيل  
إلى الاستيداع كل من ساهم بالشيوخ الذين جاوزوا الستين من المهندسين  
ورؤساء الأقسام والعمال . فكانت النتيجة إخراج سيارة كنت أحد  
ضحاياها ولا فخر ! فقد كانت تستهلك من البنزين ماتستهلكه  
قاذفة قنابل ، وكانت تحرق الزيت كأنه حطب والعياذ بالله ،  
وكانت تمشى تهادى فى الطريق تترز وتترز كالنعش المفكك ، ولا يحلوها  
أن تضرب عن المسير إلا عند إشارة المرور . . . ولقد اضطر الشاب  
الفيلسوف صاحب المصنع بعد هذا الدرس القاسى أن يعود إلى التعامل  
مع الشيوخ الذين أحالتهم رعونته إلى الاستيداع ، مضيفاً إلى فورة  
الشباب وحماسهم ملح الخبرة فى الشيخوخة والحكمة والنضج .  
إن موضوع الشيخوخة فى النهاية موضوع كفاية وقدرة وعافية أكثر  
منه موضوع شهور وأعوام . والسن التى يهرم فيها الإنسان لا تحددها  
التقاويم ولا قوانين المعاشات ، ولكن تحددها الوراثة وممارسة النشاط البدنى  
والعقلى بانتظام ، والتماس هواية مفيدة قد تصبح لصاحبها فى الشيخوخة  
مجلبة رضا ومصدر رزق ومنبع شباب يحميه من الحياة فى المقاهى وتحت  
الخمائل كتناولة السلطان ، وانتفاع بالغذاء الكافى التى تتوافر فيه كل  
العناصر الغذائية التى تحتاج إليها خلايا الأنسجة بدون إفراط ، والتوسط  
فى المتعة بملأذ الحياة ، واستعمال العقاقير الواقية من الشيخوخة التى ينصح

بها الطبيب ، والفحص الطبي الدورى مرة كل عام . . إنك تستطيع  
بهذه الوسائل—ومعظمها ممكنة التحقيق—أن تتحدى الزمن فى شيخوختك ،  
وتتحدى قانون المعاشات ولا تكون كالعبيد الذين كلما كبروا قلت  
قيمتهم فى السوق ولا كخيلى الميرى العطلانة التى لا يصلح لها إلا ضرب  
الرصاص !



## خدعوك فقاالوا :

### إن قلبك في جانب صدرك الأيسر !

يقع قلبك « أو قل معظمه » وراء عظمة القص التي تتوسط الصدر ، هي وما يتصل بها من غضاريف الأضلاع ، ولكنك إذا سألت عدداً من الناس ، حتى المثقفين ، عن موضع القلب ، أشاروا لك توّاً إلى جانب الصدر الأيسر ، لا لشيء إلا لأنهم يحسون دقاته هناك .

إن القلب أشبه ما يكون بمخروط عضلي يتوسط الرئتين في قاعدته في الجانب الأيمن من الصدر ، وجرمه تحت القص ، ورأس المخروط في الجانب الأيسر . ويمثل هذا الرأس نهاية البطين الأيسر للقلب . وهو الوعاء الذي يتسلم الدم النقي من الرئتين ويدفعه بقوة إلى الشريان الأكبر في الجسم - الأبهري - فيوزعه على سائر الأنسجة والأعضاء والأحشاء بعدالة عمر بن الخطاب . وفي كل دفعة من دفعات هذا الدم يحس المرء دفعة من دقات قلبه إذا أنصت إليه ، ولا سيما إذا كان ينبض بعنف لأي سبب من الأسباب .

### من ٢٥ إلى ١٠٠٠

إن دقات القلب تزداد وتشتد بالمجهود العضلي الشاق ، والانفعالات النفسية المفاجئة ، ودرجات الحرارة المرتفعة ، وفي أثناء هضم الطعام ،

وعند الفرع من موقف رهيب ، وبعد النزف ، وفي الصدمات العصبية ،  
وفي مناوشات الغرام ، وعند تضرج الوجنات بحمرة الخجل ، وحين  
ترى الحبيبة المخلصه جالسة مع شخص آخر على حجر في سفح الهرم  
الكبير !

ويدق قلب الشخص البالغ في حالة الهدوء من ٧٠ إلى ٨٠ مرة  
في الدقيقة ، أى أنه يدق أكثر من ١٠٠,٠٠٠ دقة في اليوم ، أو أكثر  
من ٢٠٠٠ مليون مرة في عمر الشخص الذى يبلغ الستين ، وبدون عطلات  
أو إجازات مستطيلة . وهو يدفع إلى الجُسم في كل دقة حوالى نصف  
فنجان شأى من الدم ، ويصل ما يرسله من الدم إلى الجسم خلال هذا  
العمر إلى حوالى ٦٤ مليون جالون .

على أن دقات القلب تختلف بين مرحلة ومرحلة من العمر .

## آه ياقلبي !

إن دقات القلب سبب من سببين رئيسيين جعلنا أكثر الناس  
يعتقدون أن القلب في الجانب الأيسر من الصدر ، والسبب الثانى هو  
ما ألفت الناس أن يسمعه من أن الآلام الناشئة من اعتلال القلب  
تكون في هذا الجانب من الصدر ؛ وهو باطل آخر من سلسلة الأباطيل  
التي تتصل بتاريخ هذا العضو الحيوى العظيم . . فألم القلب ليس  
وفقاً على الجانب الأيسر من الصدر ، وإنما يكون أكثره تحت عظمة

القص وينتشر منها إلى العيين أو الشمال إلى الذراعين ، أو إلى أسفل الصدر أو أعلاه .

ثم إنه ليس ألماً ككل الآلام التي تطعن كالخنجر ، أو تخز كالمسمار ، أو تشعب تشعب التيار الكهربى . . . إنه ألم ضاغط ، خائق ، ساحق ، كأنه حمل هائل يجثم على الصدر ، أو كأن الصدر تعصره كلابتان . يضاف إلى ذلك أن هذا الألم يأتي عادة بعد القيام بمجهود ، ويذهب إذا ذهب المجهود . .

وقد يحدث هذا الألم نفسه من موت بضعة من عضلة القلب نتيجة للانسداد الكامل فى الشريان الذى يمدّها بالغذاء والأوكسجين ، وفى هذه الحالة لا يرتبط الألم بالمجهود ، وقد يقترن بالإنعماء .

وليس كل ألم فى الجاناب الأيسر من الصدر منشؤه القلب ، فإن الآلام فى هذه المنطقة كثيرة ، وبالأخص منها الألم الواخز والألم النشار ، فقد تكون هذه الآلام مما يسمى خطأ بروماتزم العضلات ، وقد يكون منشؤها من مفاصل العمود الفقرى فى العنق والظهر ، وقد تنشأ من القلق النفسانى الذى يختار هذه المنطقة بالذات ليجرب فيها ألامه استشارة للاهتمام .

### العضو الأصيل

إن القلب هو أقوى عضلة من عضلات الجسم ، ولعله أطولها عمراً ، وأشدها جلدأ على المحن والأحداث ، وأكثرها ازدهاراً على الجهد

والنشاط والعمل الشاق . والقلب أشبه ما يكون في عمله . بالآلة ، فإنه أقل الآلات حاجة إلى الراحة أو الإصلاح ، أو قطع الغيار ، هذا بطبيعة الحال إذا لم يضايقه مرض كالروماتزم المهمل الذى لا يعالجه صاحبه ولا يحاول توقيه ، يرغم أنه مرض قابل للتوقى والعلاج ، وما لم يعرقل عمله مرض كتصلب الشرايين .

### صدأ السنين

إن تصلب الشرايين أقرب ما يكون إلى صدأ يرسب في بطانتها رسوب الطين في قنوات الري ، ويضيق مجراها كضيق مجرى هذه القنوات بالأعشاب ، فيجعلها عرضة للانسداد .

وأهم أسباب هذا الصدأ ارتفاع ضغط الدم مع السن ، والسمنة المفرطة ، والتخمة ، وغنى الطعام بدهن الحيوان، وقلة النشاط والرياضة ومرض السكر ، والإفراط فى التدخين ، والاضطرابات العاطفية المزمنة ، مضافاً إلى هذا كله ما يرثه المرء من استعداد لهذا الصدأ من الآباء والأجداد .

إن هؤلاء المتأمرين التسعة كثيراً ما يجتمعون معاً على القلب الشهيد فتسوء عقباه ، وكثيراً ما يجتمع بعضهم ويغيب بعض ، وكلما قل العدد قلت متاعب القلب ، وفى استطاعة كل إنسان أن يحول دون اشتراك أكثرتهم فى هذا التآمر على قلبه ، ولا سيما إذا طردهم بالعيش المنظم ، والتوسط ، والطعام المناسب ، والرياضة المعتدلة والابتسامه للحياة ،

والفحص الطبي الدورى ليعرف أى هؤلاء المؤتمرين قد استغفله ، واقتحم مكان الاجتماع .

إن عنتره بن شداد لو قام من قبره وضرب بسيفه البتار عدوًّا من أعدائه فى منتصف الرأس ، ومنتصف عظمة القص ، فشطره رأسياً ومن الأمام إلى الخلف إلى شطرين ، لوجدنا أن القلب قد انشطر هو الآخر إلى شطرين ، فكان نصفه إلا قليلا فى جانب الصدر الأيمن ، وكان نصفه - أو فوق ذلك قليلا - فى الجانب الأيسر . .

بيد أن عنتره لو فعل ذلك الآن ، لما ذهب الأمر دون مضاعفات ، فإن جبل المشنقة كفيل بأن يعيده إلى حيث كان ، وقد انشطر عنقه - بالعرض لا بالطول - على طبلية الإعدام ، وخير له أن يبقى حيث هو ، كافياً خيره شره ، ممتعاً بسمعته الحسنة على الأقل بين الأبطال والشجعان !!



خددعوك فقالوا :

## إن كل ألم في المفاصل روماتزم

كانت صلاة الجمعة في مسجد قروي ، وكان بجواري شيخ متداع كلما قام من ركعة أو سجدة سمعت مفاصله « تطلق » ، وسمعت من فمه أصواتاً خافته تختلط فيها شعائر الصلاة بالأنين البادي والمكتوم « ياظهرى ياظهرى . . يا كريم يارب ! » وسألته بعد أن انتهت الصلاة عما به فقال : « المدعوق المورنوزم يا ابني . . أجارك الله ! » وكان يقصد الروماتزم بطبيعة الحال .

والذين يهتمون الروماتزم بكل ألم يصيبهم في المفاصل كثيرون ، وهو اتهام ظالم قلما يصح إلا في أقل من خمس حالات في المائة من حالات آلام المفاصل . فالروماتزم مرض من أمراض الطفولة والشباب وهو مرض للقلب أكثر منه مرضاً للمفاصل ، فهو على ما يقال كلب عقور يعض القلب بقسوة ويلعق المفاصل برفق ، ولا يكاد المريض يعالج من الروماتزم حتى تعود المفاصل إلى حركتها الحرة كأحسن ما كانت عليه . وقد يستطيع المريض بالروماتزم الحقيقي أن يتقى هذا المرض وأفاعيله في المفاصل ، يتقى المرض نفسه وأذاه ، إذا عالج علاجاً حاسماً كل التهاب يصيب الزور .

فالروماتزم إذن لا يضرب المفاصل بعنف ، ولا يبعث فيها فساداً ،

وإنما تفعل ذلك أمراض أخرى ، تضرب المفصل بشدة ، وتدمر أغشيته الداخلية ، وتأكل غضاريفه ، وربما أكلت كذلك جزءاً من العظام .

### شبيه الروماتزم

وعلى رأس هذه القائمة من الأمراض الالتهاب المفصلي شبيه الروماتزم ، وهو مجهول الأسباب حتى الآن ، ويصيب النساء أكثر من الرجال ، ويضرب عادة بين سن العشرين وسن الأربعين ، ويؤثر في المفاصل الصغرى بالأيدى والأقدام أكثر مما يؤثر في المفاصل الكبرى ، ويصحب الإصابة ضمور شديد في العضلات ، وتبيس في حركة المفاصل المصابة ، يفقدها القدرة على الحركة بالتدريج . .

ومن أهم ظواهر هذا الألم المفصلي أنه يزداد مع الراحة ، ويقل مع النشاط وقد تشوه اليد أو القدم فتصبح كالتخشب إذا لم يعالج المريض . وقد يصبح المريض قعيد الدار . وعلى الرغم من تسمية المرض بأنه شبه روما تزمي فإنه لا يمت للروماتزم بأية صلة أو رباط .

### الانحلال الشيخوخى

ومن أشهر أمراض هذه القائمة كذلك ، الانحلال المفصلي الشيخوخى أو ما يسمى بالالتهاب العظمى المفصلي وأكثر من يصاب به الكهول بين الأربعين والستين . وأكثر المفاصل استعداداً للإصابة به

هي المفاصل التي تحمل ثقل الجسد كمفاصل العنق والظهر والمقعدة والركبتين . وكذلك المفاصل التي تجهد بالعمل « كالمفاصل النهائية في أصابع النساء » ، وهو المرض الذي تكثر فيه طقطقة المفاصل عند الحركة ، نتيجة لتصادم عظام المفصل بعضها ببعض ، بعد أن أفنى المرض ما كان يكسوها من الوسائد الغضروفية ، التي تجعل تحرك عظام المفاصل بعضها فوق بعض أسلس ما يكون . ومن سمات هذا الألم أنه يزداد مع التعب ، وطول الوقفة ، ومشقة العمل ، ويزول أو يخف حين يستجم المريض .

### القائمة طويلة . .

ومنها السل الذي يدمر هو كذلك غضاريف المفصل وعظامه ، ولاسيما في المفاصل الكبرى كالفخذ والركبتين . فهو كاللص الذي يسرق الحمل وينصرف عن الدجاج ، إذ يختار مفصلاً كبيراً أو مفصلين فيتلفهما ، إذالم يعالج ، ويضيع حركتهما ، ويؤدي إلى تقصير الساق المصابة ، وتثبيتها في وضع يغلب عليه التشويه .

وقد يؤدي بعض المفاصل الكبرى كذلك السيلان الذي لا يعالج . وقد قل هذا المضاعف من مضاعفات المرض الآن ، لأن الشباب أصبح أكثر وعياً لمزلق المراهقة من جانب ، ولأن مضادات الحياة الجرثومية « من الجانب الآخر » أصبحت سلاحاً فعالاً ضد هذا المرض السافل السخيف .

وفي قائمة هذه الأمراض المدمرة للمفاصل توجد بعض الأمراض الخبيثة « كالسرطان » وكثير من الأمراض الأخرى قليلة الحدوث .

### ضلال حتى في الأسماء

على أنه بغض النظر عن آلام المفاصل الناشئة من الأمراض ذات القدرة على إتلافها ، فإن هناك سلسلة أخرى من آلام المفاصل يطلق عليها اسم مزدوج وهو الروماتزم العضلي ، وهي تسمية ياطلة لأن أسباب هذه الآلام لا علاقة لها هي الأخرى بالروماتزم ، وهي ولو أنها في المفاصل إلا أن مركز الأذى فيها هو العضلات والأوتار المحيطة بالمفاصل . . وأسباب هذا الروماتزم العضلي المزعوم غير معروفة تماماً ولكن المعروف أن هناك ظروفاً خاصة تهيء له الطريق .

### بعض من كل . .

فالبرد والرطوبة إذا تعرض لهما مفصل بذاته ، دون الجسم كله ، فقد يحس المرء ألماً فيه . .

والتعب بعد الخلود إلى الراحة طويلاً قد يحدث في بعض المفاصل تيبساً في الحركة مع بعض الآلام التي تزول في أيام .

ويحدث مثل ذلك في الصناعات التي تقتضي إرهاق العضلات في عمل شاق طويل . وأكثر ما تحدث هذه الآلام المفصلية حين تكون

العضلات مرهقة ثم تتعرض للبرد بعد الإرهاق .

والأذى الذى يصيب مفصلاً بعينه قد ينصب على بعض عضلات المفصل أو أوتارها فيؤدى إلى كثير من المضاعفات والآلام . ومن هذا النوع إصابات مفاصل الرياضيين ، ولاسيما لاعبي الكرة ، من الضربات الخطأ ، والتصادمات العمياء . والسمنة المفرطة قد تصحبها آلام فى مفاصل الغنق والظهر ، نتيجة لحمل أثقال من تلال الشحم ، أو للانزلاق الغضروفى فى مفاصل العمود الفقرى ، وهو كثير الحدوث فى هذه الأحوال .

وفى بعض العدويات كالأنفلوانزا والتهاب اللوزتين و « حتى لو لم يضاعف هذا الأخير بالروماتزم » كثيراً ما يقترن ، المرض بالآلام فى المفاصل منشؤها العضلات . بل إن القلق النفسانى والصراع العاطفى قد يؤدى حياناً إلى مثل هذه الآلام . وفى كل هذه الأحوال لا يجد المريض مشجباً يعلق عليه متاعبه إلا الروماتزم ، والروماتزم الحقيقى منها برىء .

### الوقاية خير . .

وإذا كان لدى الأطباء أكثر من وسيلة يجتالون بها على علاج كثير من هذه الأمراض ، فإنه لا توجد قاعدة عامة لتوقى آلام المفاصل ، وإن كانت فى تعاليم الصحة الشخصية بعض الخطوط العريضة لتحاشي هذه الآلام .

ومن هذه الخطوط تفادى البرد والرطوبة والتيارات الهوائية بقدر  
الإمكان ، واستعمال عوازل الرطوبة في جدران المباني ، وارتداء الصوف  
على الجسم وفي الأقدام في الجو البارد ، وتجنب الإجهاد العضلي العنيف  
ولاسيما في عمال النقل، والمناجم والمعادن . . ومحاربة أى بؤرة للتقيح في  
الجسم ، كتقيح الزور والجيوب الأنفية والأسنان . . ثم استشارة  
الطبيب في كل ما يطرأ علينا من هذه الآلام . .



خدعوك فقالوا :

### إن القلب ينبوع العواطف

مخدوعون هم أولئك الذين يظنون أن استبدال قلب في عنفوان الشباب بالقلب المريض العجوز المتداعي من المرض والشيخوخة سيغير من الانفعالات العاطفية للشيخ ويجعله يحمر بسرعة من الحجل ، ويرخي أجفانه دلالة وحياء !!

لقد بدأت أقلام الكتاب تدغدغ جنب الشيخ واشكانسكى ، وهو مازال يجتاز الفترة الجرجة من جراحته ، بفكاهاتها المضحكة ، وحتى الجراح الذي أجرى هذه الجراحة التاريخية نفسه ، بدأ يتحدث عن القلب الصغير الشاب الذي يتأرجح في القميص الفضفاض ، المتخلف عن القلب المستأصل العجوز . .

ويطول ماسيلقى الشيخ واشكانسكى من لذعات أقلام الكتاب التي لا ترحم ، وياما أكثر ما سوف يجد نفسه ، وقلبه المستعار محورا لفكاهات العالمين !!

### مسرح مظاهرات

إن القلب ليس ينبوع الانفعالات العاطفية ، ولكنه مسرح لمظاهراتها ، ونجال لترداد صدى هتافاتها القادمة من بعيد .

فالقلب ليس أكثر من مضخة ، تقوم على صغر حجمها الذى لا يكاد يتجاوز حجم قبضة إحدى يديك ، بعمل هائل ، تدفع فيه ما قد يصل إلى عشرة أطنان من الدم كل يوم إلى الشرايين ، وقد يزيد حين يتأثر القلب بالانفعالات العاطفية أو بالإرهاق البدنى الشديد .

أما منبع الانفعالات العاطفية ، والخاوف ، والأفراح والأحزان ، فأكثره من البيئة وضغوطها المختلفة . ، ومباهجها وتعاسفها الكثيرة ، وبعض منه من الجسم وآلامه ، ومن العقل ومن همومه الثقال ، يصل كل ذلك عن طريق المسالك الحسية المختلفة إلى الإدارة العامة للجسم ، والجهاز العصبى المركزى الذى يعمل بإرادتنا ، والجهاز العصبى الذى لا يخضع لهذه الإرادة ، وإنما يعمل دون وعى منا فيجعل قلوبنا تخفق حتى ونحن فى غاشية إغماء ، ويجعل جهازنا المضمى يعمل حتى ونحن نيام ، ويجعل أحشاءنا ينهض كل منها بدوره فى هذا الجهد المتسق العظيم الذى يقوم به فى الجسم أثناء الحياة ، ولو وقف هذا الجهاز العصبى غير الخاضع لإرادتنا ، أو أصرب عن العمل خلال لحظات من هذا الغياب المؤقت عن الوعى ، لأنبت العيش بنا ، ولغربت شمس الحياة . .

ويؤازر هذا الجهاز العصبى اللا إرادى فى السيطرة على انفعالاتنا العاطفية جهاز آخر معقد من بعض هرمونات الغدد الصماء ، يعمل معه فى تعاون كامل وانسجام تام .

هذا إلى أن هذه الانفعالات العاطفية وثيقة الصلة بقرائنا الموروثة إلى حد كبير ، فالخوف وثيق الصلة بقرينة البطش والسلطان وهكذا . . .

وليس للقلب في هذه الانفعالات كلها إلا تلقى الأوامر التي تصدر إليه عن طريق الأعصاب ، ليدفع دماء أكثر إلى هذا العضو أو ذاك تبعاً لمتعضيات الأحوال .

### الخوف القديم والخوف الجديد

لقد كانت هذه الانفعالات القوية تساعد الإنسان البدائي كما تساعد الحيوان ، على النجاة بحياته من بوائق الخطر والمهلك ، أو على اقتحام هذه البوائق والانتصار عليها ، والخروج منها بسلام .

أما اليوم فلم يعد في حياتنا وحوش ، ونمط حياتنا يحتاج إلى الهدوء أكثر مما يحتاج إلى العنف ، وبعض انفعالاتنا العاطفية كانفعالات الفرح والحب انفعالات بناءة تمتد في العمر وتطيل في الحياة . وبعضها الآخر انفعالات هدامة ، مبعثها الهموم التي تحترم الجسوم نخافة - على ما يقول المتنبي - وتشيب ناصية الصبي قبل الأوان ، ومنها انفعالات الحسد والحقد والبغض وأوهام المرض المسماة بالوسواس .

إن هذه الانفعالات الأخيرة إذا استبدت بنا أدت إلى مرض البدن والنفس والروح . . هضمنا يسوء ، وحياتنا تظلم ، وقلوبنا تخفق خفقان الحيوان المذعور ، وضغط دمنا يرتفع ، ونبضنا يزداد ، وقد نصاب بقروح المعدة والأمعاء ، وقد نصاب بالربو ، وقد تؤدي بنا نوبة غضب إلى نزف دماغى خطير .

إن الهم - وهو خوف مزمن - يحدث من الأمراض في البشر

أكثر مما كانت تحدّثه الوحوش كلها بالحيوان ، وأكثر مما تحدّثه كل  
الميكروبات بالبشر في الوقت الحاضر من أمراض !

### حيرة

لقد حار البشر منذ خلقوا في أصل العواطف وينبوع الانفعالات .  
رعموا الكبد مصدرها في البداية ، فقال شاعرهم :  
ولى كبد مقروحة - من الهموم طبعاً ! . . من يبغى بها كبداً ليست  
بذات قروح !

وعزوها تارة إلى الطحال ، ولا يزال كثير من الريفين يتحدثون  
عن الطحال الذي يوشك أن ينفجر من الغيظ . .  
ثم أسندوها أخيراً إلى القلب لأنهم وجدوا القلب يخفق كلما انفعل  
الإنسان ، ووجدوا الوجنات تنضرج بحمرة الحجل ، أو تبهت من صفرة  
الذعر ، وللشعراء في هذا المجال صولات وجولات حسبى في الإشارة  
إليها ، أن أذكر قول إسماعيل صبرى :  
أقصر فؤادى فما الذكرى بتأفة

ولا بشافعة في رد ما كانا

سلا فؤاد الذى شاطرته زمناً

حمل الصباية فاخفق وحلك الآنا

ومن العجب أنهم - حتى القرن الثامن - عشر لم يفكروا قط من هذه  
الناحية في الدماغ ، وفي الجهاز العصبي ، لأنهما ظلا بعيدين جداً عن

مشرح المظاهرات العاطفية . وعن صدى هتافاتها العالية في سائر الأعضاء والأحشاء ، كما ظلا موغلين في التخفي وراء أسوار حصونهما العظمية المنيعة ، التي لا تسمح بالدخول لنظرات التطلع وتأملات الفضول .

### شيخ أو فتاة

سواء إذن أكان قلب فتاة أم قلب رجل مسن عجوز ذلك الذي يتأرجح في القميص الفصفاص الذي خلفته الجراحة بين جوانح الشيخ واشكانسكى ، فهو من ناحية الانفعالات العاطفية ، إنما ينفذ الأوامر التي تصل إليه من دماغ السيد وأعصابه ، دون أن يتأثر أقل متأثر ، بطبيعة فلذة اللحم التي استعيرت له من قلب فتاة ، وتركت هناك تتأرجح في قميص فؤاده الفصفاص .

سيظل هذا القلب القوي . إن عاش السيد واشكانسكى ، مجرد مضخة ، تكبس الدم في شرايينه سبعين مرة في الدقيقة . وتأنم من حيث الانفعالات العاطفية بأمر الدماغ والأعصاب والهرمونات ، التي تصدر من الشيخ واشكانسكى القديم ، لا من بضعة اللحم الحديدية ، المستوردة من الخارج ، والمستعارة من قلب فتاة !

• • •

ملاحظة : الشيخ واشكانسكى هو أول مريض زرع في صدره قلب جديد ، عاش به فترة من الزمان ، ثم لفظه الجسم ، فمات .

## خدعوك فقالوا :

### إن تشوهات القلب ضعف فسيولوجى فيه

تشوهات القلب التى يولد الجنين وهو مصاب بها ، أمر شبه مألوف وليس فيه أية غرابة أو شذوذ ، وهى نوع من التشوهات العضوية العامة التى تصيب الجنين فى حياته الرحمية . سواء فى العين فتعميها ، أو فى الأذن فتصيبها بالصمم ، أو فى الأمعاء أو سواها من الأعضاء فتحدث بها ماتشاء من آفات وتشوهات القلب الرحمية . سواء أكانت ثقباً فى جدرانه الداخلية أم ضيقاً فى صماماته . أم اتصالات من أى نوع بين مجرى الدم النتى المحمل بالأوكسجين . ومجرى الدم غير النتى المحمل بثانى أكسيد الكربون . تؤلف على ما يقال حوالى خمسة فى المائة من جميع أمراض القلب فى كافة الأعمار ، والمقول إن واحداً من كل ألف من المواليد ، يولد بأفة أو أخرى من هذه الآفات ، أصابت قلبه وهو جنين ، إنها آفات شائعة نسبياً وشبه مألوفة . والطفلة غزالة البالغة من العمر عشر سنوات والتى عثر عليها سيادة محافظ الوادى الحديد فى واحة الفرافرة مصابة بثقب فى القلب ، فحملها معه مشكوراً لتعالج فى أحد المستشفيات الجامعية ليست أولى ولا أخرى حالات التشوه الرجمى الذى يصيب عضواً أو آخر من أعضاء الجنين .

## ينبوع الآفات الرحمية

إن هذه الآفات ليس مصدرها الأول - على ما قال راوى الخبر - هو ضعف القلب الفسيولوجي أو اتساع الثقوب. الكائنة فيه ، والتي يجب أن تتلاشى عند الولادة أو بعدها بقليل ، فإن كل طفل معرض لها في حياته الرحمية ، أو كل طفلة بالأحرى ، فإنها أكثر حدوثاً في البنات منها في الصبيان ، ولو كانت الطفلة هي السفيرة عزيزة ، أو كان الطفل هو الابن البكر لعنتره بن شداد . إن ينبوع الأول للتشوهات الرحمية في الجنين هو إصابة الأم أثناء الأشهر الثلاثة الأولى من الحمل - أى في أثناء تكوين الجنين - ببعض الأمراض المعدية الناشئة من عدوى الفيروسات ، وأشهرها من هذه الناحية وأكثرها إسهاماً في إحداث هذه التشوهات في الأجنة هي الحصبة الألمانية . . إنها المجرم الأول في هذه الجنائيات على الجنين المسكين .

## مرض قائم بذاته

إن الحصبة الألمانية ليست نوعاً من الحصبة ، ولا تمت لها بأية صلة أو قرابة ، فهي مرض قائم بذاته وقد يشبه الحصبة بعض الشيء في الأعراض ولكنه أبطلأ منها عدوى ، وأقل منها انتشاراً ، وأهون منها ضراوة ، وأبسط منها مضاعفات ، وليس مثلها قدراً مقدوراً على الطفل في السنوات العشر الأولى من حياته ، والطفل الذى يعدى بها

وهو صغير قد يعدى بها إذا تعرض لعدواها وهو كبير . وكل أهمية الحصبة الألمانية مستمدة من أنها إذا أصابت حاملا في الشهر الأول من الحمل فإن فرصة إصابة الجنين بالتشوه تكون خمسين في المائة وإذا أصابتها في الشهر الثاني من الحمل كانت فرصة إصابة الجنين بالتشوه خمسة وعشرين في المائة ، وإذا أصابتها في الشهر الثالث كانت الفرصة أقل وفي الشهر الرابع تهبط الفرصة إلى حوالي عشرة في المائة ، أما بعد الشهر الرابع فالأغلب ألا يصاب الجنين بأية تشوهات .

### بلاوى

وقد يشبه الحصبة الألمانية في هذه الناحية مرض النكاف الوبائي ، وهو التهاب فيروسى يصيب الغدة اللعابية النكفية التى تحيط بأسفل الأذن من جميع الجهات . . . إن هذا المرض يشبه الحصبة الألمانية من حيث إنه ليس شديد العدوى ، وإنه لا يصيب كافة الأطفال في مرحلة الطفولة ، وإنه قليل المضاعفات في الأطفال ، وإن الطفل الذى ينجو منه قد يصاب به على كبر ، وقد يورثه حيثئذ كثيراً من مضاعفات الغدد الصماء ، ولا سيما الغدد الجنسية وغدة البنكرياس ذات العلاقة الوثيقة بمرض السكر . وقد يشبه الحصبة الألمانية كذلك في أنه إذا أصاب حاملا في الأشهر الثلاثة الأولى من الحمل ، قد يعرض الجنين لبعض التشوهات .

## لو . . حرف امتناع

ولو كنت مشرفاً على الصحة المدرسية في هذه البلاد لوقفت كافة الإجراءات التي تتخذ في المدارس الابتدائية بالذات ، لحماية الأطفال من عدوى الحصبة الألمانية والنكاف . إنهما مرضان يجب أن يشجع كافة أطفال المرحلة الابتدائية على الإصابة بهما في هذه السن الآمنة من مضاعفات المرضين ولا سيما في مدارس البنات .

## متاعب الإشعاع

ثم إن الأمراض المعدية ليست وحدها سبباً في إحداث تشوهات الجنين . إن تعريض الحامل في الأشهر الثلاثة الأولى من الحمل للإشعاع السيني ، سواء بقصد تشخيص الأمراض أو علاجها ، يمكن أن يؤدي هو الآخر إلى تشويه الجنين . وربما كان الإشعاع الذري أسوأ إيذاء من الإشعاع السيني للجنين ، هذا بطبيعة الحال . إذا أعفى الحامل من الموت مع كل شيء يموت ، أو أعفاها من العقم إذا عاشت ، أو من التعاسة الأبدية في كل الأحوال .

## يحييها وهي رميم

وعلى أية حال فإن تشوهات القلب الرحمية إن كان بعضها لا يتفق مع الحياة ، فإن أكثرها ولا سيما الثقوب التي تبطئ في الانسداد طيعة للعلاج وقابلة للشفاء على مبضع الجراح . وحوال ثمانين في المائة من الأطفال المثقوبون القلوب ، والذين يعالجون بمبضع متخصص ،

ينالون الشفاء ، ويعودون إلى الحياة الطويلة المثمرة كأن لم يكن بين قلوبهم وبين الموت غزل سابق أو ودّ قديم .

إن الطفل الذى يلهث عند أقل مجهود ، والطفل الأزرق اللون ، والطفل الذى فى قلبه لغط ، والطفل المتضخم القلب ، والطفل الضعيف النمو ، كل هؤلاء يجب أن يعرضوا على طبيب متخصص فى أمراض القلب ، فقد تكون فرصة الشفاء أمامهم — إذا كانوا مرضى بالتشوهات الرحمية فى القلب — أكبر وأضمن من فرصة الشفاء من الإسهال . والحامل التى يمرض فى بيتها طفل بالحصبة الألمانية أو النكاف الوبائى ، أو أى مرض فيروسى من أمراض الطفولة ، يجب أن تستشير طبيبها فإن « ترسانة » الطب فيها أسلحة تستطيع إنقاذ الحامل من الإصابة بهذه الأمراض ، فإن أصيبت بالمرض برغم ذلك فالخير أن تجهض منعاً « لوجع القلب » فى المستقبل ، وجع قلبها هى ، ووجع قلب الطفل البريء إن الإجهاض فى هذه الحالة إجهاض شرعى ، ومرخص به مادامت الآراة الطبية متفقة على دواعيه .



خدعوك فقالوا :

### إن صورة القاتل . . . تنطبع في عين القتيل

إن العين البشرية تشبه آلة التصوير من بضعة وجوه ، فإن لها عدسة كعدستها ، وحجاباً حاجزاً للضوء مثلها ، وشبكية تشبه لوحها الحساس لالتقاط صور المرئيات ، ولكن الشبه بين الاثنين ينهى عند هذه الحدود فصور المرئيات تقع على شبكية العين كما تقع على اللوح الحساس في آلة التصوير ، ولكنها لا تنطبع عليها وإنما تنتقل منها كصور وهمية لا قيمة لها ولا حقيقة ، عن طريق الأعصاب ، فتصل إلى المخ بطريقة معقدة ، ويقوم المخ بترجمة الصورة الوهمية ، وتحميضها وتثبيتها ، واختزانها في الذاكرة إن كانت من القيمة أو الروعة أو الجمال بحيث تستحق الاختزان في سجل الذكريات .

فالخ إذن هو الذى يرى المرئيات التى تقع على شبكية العين ، وليست العين إلا مجرد وسيط لنقل المرئيات .

وعلى هذا الأساس يكون انطباع صورة القاتل في عين القتيل خرافة ضخمة ، ابتدعها مؤلفو القصص البوليسية ليضيفوا على قصصهم شيئاً من الروعة ، وليحلوا مشاكلهم القصصية بطريقة يعيا عن توقعها واستنتاجها خيال القراء .

وقد انتشرت هذه الخرافة في مثل هذه القصص منذ بداية هذا القرن ،

وكثر تداولها في السوق ، وقيل إن القتل يحتفظ في شبكية عينه بصورة من وجه القتيل ، بالوضع والملامح التي شاعت فيه أثناء ارتكاب الجريمة ، وأن أخذ صورة فوتوغرافية لعين القتيل ، وتكبيرها ، قد يكون هو الأثر الوحيد الذى يقودنا إلى الإمساك بتلابيب المجرم ، عندما يزيل كل بصمات أصابعه من أكر الأبواب ، ويتخذ كل الاحتياطات لإثبات وجوده في مكان غير الذى ارتكبت فيه الجريمة ، وفي الوقت الذى ارتكبت فيه .

بل إنه في إحدى الجرائم التاريخية المشهورة في ذلك الحين ، وفي إنجلترا بالذات ، اشتد تنديد الجمهور برجال سكوتلانديارد ، عندما تبين في أثناء المحاكمة أن البوليس لم يصور عين القتيل !

وتحت هذا الضغط قامت إدارة المباحث في سكوتلانديارد بعمل تجارب واسعة النطاق ، لوضع هذه الخرافة في ميزان الامتحان ، وراحت تصور أعين القتلى كلما حدثت جريمة من هذا القبيل ، وبآلات فوتوغرافية في منتهى الدقة والكمال ، فلم يتبينوا أية صورة للقاتل في جميع الأحوال .

إن شبكية العين . المكونة من غشاء عصبى شفاف في الحياة ، كانت توجد في كل مرة ، وقد فقدت شفافيتها تماماً بعد الموت ، ولم تعد تقرأ عليها أية قصة من تلك القصص الرائعة التي مرت بها طول الحياة .  
والعين على أنها آية باهرة من آيات الله ، بارعة التكوين ، هائلة الإعجاز ، إلا أنها إذا شبهت بآلة التصوير المعروفة كانت من أتفه

آلات التصوير . ولقد قال ثقة من ثقات الآلات البصرية : « إنى لو بيعت لى آلة تصوير فوتوغرافية كالعين البشرية ، لرددتها إلى بائعها بعد أول تجربة ، وطالبتة بتعويض » .

ففى كل آلة تصوير جيدة ، أو ميكروسكوب ، أو تلسكوب نتوقع أن نرى العدسات متناظرة تماماً فى الشكل والقوة ، ومبرأة من كل العيوب ، وما هكذا الشأن فى عدسات العيون ، وما يقال عن العدسة يمكن أن يقال عن الحجاب الحاجز للضوء ، وعن الشبكية واللوح الحساس ومع ذلك فإن كل خلية من خلايا العين فيها من آيات العبقريّة والإعجاز مالا يوجد عشر معشاره فى أى جهاز بصرى ابتدعه البشر ، وفى عملها من السحر والعظمة مالا يوجد له نظير فى أى تلسكوب أو ميكروسكوب لا لشيء إلا لأنها حية ، ولأنها من صنع الله .

إن هذه الآلة الفوتوغرافية على كمالها وفائها بحاجات الرؤية للإنسان لا تستطيع أن ترسم صورة قاتل على عين قتيل ، لأنها لم تعد لهذا الغرض التافه ، وقد تفوقها فى هذه الناحية آلة تصوير لا يتعدى ثمنها عدة قر وش !



## خدعوك فقالوا :

### إن دمك شربات

قد يتقاطر الشهد منك ظرفاً ولطفاً وخفة . ولكن دمك لا يمكن أن يتحول إلى « شربات » أبداً ، وإلا فطست في الحال ، فإن قلبك يكف حينئذ عن الخفقان ، ويعيا تماماً عن دفع هذا الشراب اللزج الثقيل في الشرايين ، إذ أن القلب خلق ليتعامل مع دم سائل خفيف لطيف ، لا مع سائل لزج كثيف ، ولو كان في حلاوة « الشربات » . إن دمك في حالة الصحة يحتوي على مقدار صغير من السكر ، يكاد لا يتغير ، وإن كان يتذبذب علواً وانخفاضاً حول مائة ملليجرام في كل مائة سنتيمتر مكعب من الدم ، وذلك عند قيامك من النوم . ولما كان ذلك يبلغ حوالى خمسة لترات ، فعنى ذلك أن كل مافى دمك من السكر في هذه اللحظة لا يزيد كثيراً على ملعقة شاي من السكر « السنترفيش » وهذا المقدار التافه لا يمكن بحال أن يحيل دمك إلى شربات ! !

وحى بعد أن تتناول وجبة من وجبات طعامك ، وذلك هو الوقت الذى يرتفع فيه منسوب السكر في الدم إلى أقصى ما يصل إليه في حالة الصحة ، فإن قصارى ما يبلغه السكر في دمك حينئذ لا يصل إلى مئتي ملليجرام في كل مائة سنتيمتر مكعب من الدم ، أى أنه يصبح أقل من

ضعف ما كان في حالة الجوع حين قيامك من النوم ، ولو ترجمنا هذه الزيادة إلى ملاعق ، لوجدنا أنها تمنحك ملعقة شاي أخرى فوق الملعقة التي كانت في دمك من السكر فيصبح كل ما في دمك ملعقة شاي من السكر ، وهو مقدار لا يكفي لتحلية فنجان من الشاي ، ولا يمكن بطبيعة الحال أن يجعل دمك شربات ، حتى لو كنت نجيب الريحاني أو أمين الهندي أو من شئت من نجوم الفكاهة ، وأصحاب الدم الموصوف بأنه دم شربات ...

### حسبة برما

إنك تأكل في الوجبة الواحدة من المواد النشوية والدهنية والزلالية ، وهي المواد القابلة للتحويل في الجسم إلى سكر ، ما قد يصل في الوزن إلى كيلوجرام من السكر أو يزيد ، وهذا المقدار لا يخرج من جسمك كسكر في حالة الصحة قط ، فإذا كان كل ما بقي منه في الدم لا يزيد على ملعقة شاي فأين ذهب باقيه ؟

إن الذي يستطيع أن يجيب عن هذا السؤال هو البنكرياس ، أو البنقراس ، أو « الحلويات » وهو إحدى الغدد الصماء التي تفرز الهرمونات وهرمون البنقراس الأكبر هو الأنسولين المعروف .

إن مصنع الأنسولين لا يكاد يحسّ أثر زيادة السكر في الدم حتى تدق فيه أجراس الخطر ، فينشط إلى إنتاج الأنسولين ، وصبه في الدم بالمقدار الذي يتناسب وزيادة السكر فيه ، فيساعد الأنسولين على

دفع السكر الزائد إلى الأنسجة ، حيث يستعمل وقوداً هناك لإنتاج الحرارة اللازمة. لتدفئة الجسم من جانب ، ولإمداده من جانب آخر بالطاقة والقدرة على العمل والحركة والنشاط ، وبدون الأنسولين لا يتم هذا الاحتراق ، وهو بعض ما يحدث في مريض السكر أو الדיابیط .

فإذا زاد من السكر شيء على حاجة الأنسجة إلى الوقود فإن الأنسولين يساعد على تحويل هذه الزيادة إلى نوع من النشا الحيواني ، قابل للاختزان في الكبد والعضلات ، كرصيد للسكر ، يسحب الجسم منه حاجته في غير أوقات الطعام . . فإن بقي من السكر فضل بعد ذلك فإن الأنسولين يحيله إلى دهن ، كما يحدث في الأشخاص النهمين ، الذين يزيد السكر في طعامهم على حاجات الاحتراق والتخزين ، ويترتب هذا الدهن الكثيف تحت جلودهم ، وفي كروشهم ، وبين الأحشاء ، مضيفاً من الشحم تلالاً إلى تلال . ! .

### حلقة أخرى في قصة السكر . .

هذا جزء من قصة السكر في الدم وما يفعله فيه الأنسولين . . ولو ظل الأنسولين يفعل فعله هذا في سكر الدم لما بقي من هذا السكر شيء... حتى ملعقة الشاي البسيطة التي رأينا أنها فيه باستمرار ، كانت حرة أن تذوب هي الأخرى ، وترتك مقطوع الصلة نهائياً بالشرابات ! !

بيد أن كل نشاط في الجسم له ضابط ، وضابط الأنسولين هرمون آخر من هرمونات الغدد الصماء . . .

نعم ، إن نقص منسوب السكر في الدم يدفع مصنع الأنسولين إلى التوقف عن العمل ، حتى لا يرسل إلى الدم فيضاً جديداً من هذا الهرمون ، ولكن الجزء الذي يكون باقياً منه في الدم يكفي لو ترك على حل شعره لخلخلة منسوب السكر ، وما يؤدي إليه ذلك من شعور بالضعف ، والانهيار ، وارتعاش في الأيدي ، واهتزاز في الركب وغزارة في العرق وخفقان في القلب ، وهي الأعراض التي يعرفها كل مريض بالسكر ، يعالج بالأنسولين ، حين تزيد جرعة الدواء على الحد المقرر فتخفض منسوب السكر في الدم عن مستواه الطبيعي المألوف . . . إنها الأعراض التي من أجلها يحمل كل مريض من هذا النوع قطعة من الحلاوى في جيبه ليستعين بها على تعويض ما نقص من سكر الدم عن هذا المنسوب .

ولكيلا يحدث ذلك ينبرى هذا الهرمون الآخر لبقية الأنسولين الموجودة في الدم والزائدة على الحاجة فيبطل عملها ، ويحفظ منسوب السكر في الدم حيث ينبغي أن يكون ، أى ملعقة صغيرة من السكر لا يمكن أن تحيل دمك إلى شربات ، ولو كانت من السكر النبات !!

### الوجه الآخر للصورة

لكن ماذا يحدث لسكر الدم إذا تعطل إفراز الأنسولين أو تعرقل

لأى سبب من الأسباب ؟ .. وتعرقل تبعاً لذلك احتراقه في الأنسجة واختزانه هناك ؟

يحدث مرض السكر أو الديابيط كما يسمى بطبيعة الحال . .  
وفيه يرتفع منسوب السكر في الدم ، من مائة ملليجرام إلى مائتين ،  
وربما إلى ثلاثمائة أو أربعمائة ملليجرام في كل مائة سنتيمتر مكعب في  
الدم . . . . ومع ذلك ، فإن دمك لا يتحمل حتى في هذه الحالة إلى  
شربات ، وأن مقدار السكر الذي يكون في الدم حينئذ لا يتعدى أربع  
ملاعق شاي . . إن الذي قد يتحول في هذه الحالة إلى شربات قد  
يكون بول المريض ، لأن السكر الذي لا يحترق في الأنسجة ولا يخزن ،  
تنفضه الكلى إلى الخارج مع البول ، مع مقدار كبير جداً من الماء ،  
وتلك عرض من أعراض مرض السكر . . ولكن ليس هذا كل شيء  
في هذه الأعراض .

إن هذا المقدار الكبير من الماء الذي تستعمله الكلى في إذابة هذا  
السكر ونفضه في البول ، يحتاج إلى تعويض ، فيحس المريض عطشاً  
دائماً وهو عرض آخر من أعراض المرض . . . بول غزير وشرب ماء  
كثير .

### قراءة كثير وذمة مفيش !

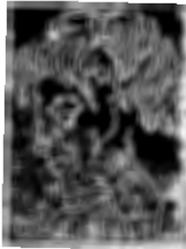
ثم إن الأنسجة التي فقدت جريتها من الطعام والوقود تضمر وتضمحل  
ويصاب المريض الذي يكون بدنياً في العادة بالهزال ، ويفتر نشاطه

وتضعف قواه . وتقل مقاومته للأمراض . . .

ولكن هذا الهزال مع ذلك يصحبه شعور دائم بالجوع ، وشهوة  
دائمة إلى الأكل ، كأنما هي صرخة استغاثة من الأنسجة التي  
حرمت. الطعام . . وهكذا يصبح المريض من كثرة الأكل ، وقلة بركته  
أشبه ما يكون بالقطط . . . « قرابة كثير وذمة ما فيش !! » كما يقولون . . .  
وإذا لم يعالج المريض ، فقد يحدث له مع مرور الزمن كثير  
من المضاعفات التي يهدد بعضها الحياة .

### قليلا من التواضع يا أخى

ولما كنت لا أتحدث هنا عن مرض السكر ، وإنما أتحدث عن دمك  
الشربات ، فإنى أترك السكر جانبا لألتمس منك قليلا من التواضع  
يا أخى ، وشيثاً من الاقتصاد فى التظرف ، فإن دمك مهما كنت  
حتى ولو كنت مريضاً بالسكر ، هيهات أن يكون «شربات» !



## خدعوك فقالوا :

### ضغط الدم يساوى السن مضافاً إلى مائة

ضغط الدم في الكائن البشرى - وهو في عنفوان صحته - لا يخضع لمقياس ثابت ؛ وهو يختلف في شخص عنه في آخر ، مع تكافؤ السن والبيئة والظروف ، ويتراوح تراوحاً طبيعياً بين هذا وذاك ؛ في حدود يرمح فيها الحصان ، بل إنه يتذبذب بين العلو والهبوط ، في الشخص الواحد ؛ وفي اليوم الواحد عدة مرات ، وهو أشبه ما يكون بأسعار القطن في بورصة يعتادها كثير من عوامل التقلب . .

لأنها بورصة تكرم أحياناً ، وتلؤم أحياناً ، وتستغل إلى حد ما جهلنا ببعض أركانها وبعض عملياتها التي لا تزال حتى اليوم متشحة بالظلام ، بيد أن حزب الصعود فيها مع ذلك يتألف من الوراثة المعتلة ، والشيخوخة المرهقة ؛ والبدانة ، والإفراط في تلبية نداء النزوات ، والقلق العصبي والاندفاع وراء بروق المطاعم بلا عقل ولا زمام . .

كما أن حزب النزول يتكون من المعيشة الهادئة ، والمزاج المعتدل ، والتوسط ؛ وإكرام الجسم بمنحه حقه الطبيعي في النوم ، والرياضة والاسترخاء بعض ساعة في وسط النهار ، والمتعة الصافية براحة الأسبوع وعطلة العام ، والنظر إلى الحياة بعين الفيلسوف الذي يجدها أحقر من أن يبكى على لبها المسكوب ، وفوق هذا كله تجاهل ضغط الدم كلية ؛

ونسيانه إذا أمكن . وتجنب سؤال الطبيب - إذا فحصه - عن مقداره ومداه !!

إن الوعي المرهف لأرقام ضغط الدم وتذبذبها الطبيعي ، كثيراً ما كان هو نفسه عاملاً من عوامل الصعود في هذه البورصة ، وكثيراً ما خلق مرضى بضغط الدم المرتفع ، من أشخاص كانوا خلقاء بالصحة والعافية والمتعة ، أو لم يندفعوا وراء دعوة الانتحار الصامتة ، المنبعثة من جهاز الضغط الأخرس ، التي لا يسمعونها ولا يلبونها إلا عبيده الأرقاء .

ولقد عرفت رجلاً من أفذاذ هذا البلد ، كان يسجل ضغط دمه كل يوم ، فإزال به الجهاز الأخرس حتى قتله في بضعة أعوام ، أحوج ما كانت إلى شمس الساطعة ساء هذه البلاد .

لعله كان من الخير للبشرية لو لم يعرف هذا الجهاز ، الذي إن كان قد أعان الطبيب كثيراً على تشخيص وعلاج بعض الأمراض ، فإنه لسوء الحظ قد استعبد البشرية لعنصر مبتكر من عناصر القلق النفساني ووضع على عاتقها حملاً ثقيلاً من المخاوف والأوهام .

في سنة ١٧٠٨ أوثق الراهب الإنجليزي « ستيفن هيلز » مهرته وهي راقدة على ظهرها ، وأدخل في شريان فخذها أنبوبة من النحاس ، وصلها بأنبوبة من الزجاج ، فوجد دم المهرة يرتفع في الأنبوبة الزجاجية حتى يصل إلى علو ٢٥٠ مليمترًا ، فأدرك أن الدم في شرايين الحيوان واقع تحت ضغط معين .

وبعد مائة وخمسين عاماً من هذا الاكتشاف كان الجراح الفرنسي

« فيفر » يوشك أن يبتر ذراع مريض ، فخطر له أن يعيد تجربة الراهب الإنجليزي على الذراع البشرية الموشكة أن تبتر فأدخل في شريانها أنبوباً ، وصله بمانومتر زئبقي ، فوجد أن ضغط الدم في الشريان يعادل مائة وعشرين مليمتراً من الزئبق .

وفي سنة ١٨٥٥ حاول طبيب ألماني أن يقيس ضغط الدم البشري في الشرايين بإيجاد مقدار الضغط الكافي لوقف مسرى الدم فيها من الخارج ؛ دون حاجة إلى فتح الشريان ، ولكنه فشل في إيجاد جهاز مناسب ، وإن كانت فكرته تحققت على يد « سيبان ريفا روتشى » الإيطالي الذي اخترع جهازاً لقياس الضغط على أساس النظرية الأخيرة وهو الجهاز الذي يحمله اليوم كل طبيب في حقيبته بتعديل طفيف ، وهو نفس الجهاز الذي منذ عرف ازدادت معارف الطبيب ، وازدادت معها متاعب البشر ، وازدادت مخاوفهم ، وازداد شعورهم بأشباح الموت الراقصة على مسرح الحياة .

عرفت مرة سيدة اشترت راحتها وسعادتها بقطع خط التليفون في بيتها وما أحرى كثيراً منا بأن يشتروا من نفس السوق راحتهم وصحتهم عن طريق قطع صلتهم بجهاز ضغط الدم - أو بأرقامه على الأقل - التي تنعب في بعض الأحيان نعيب البوم والغربان !!

## خدعوك فقالوا :

### إن الدبابيس والإبر تسرى في الجسم مع الدم

جاءني صديق يلهث وفي وجهه قلق وفي صوته بواذر مأساة يقول لي إن ولده قد ابتلع دبوساً من دبابيس الشعر ، وإنه حائر لا يدري ما يصنع فقد سمع عن الدبابيس والإبر التي تخترق الأمعاء وتسرى مع الدم وتذهب إلى القلب ، وتغرس فيه ، ويكون من أمرها مالا بد أن يكون . . وضحكت لصديقي وقلت له إنه لا داعي للحيرة ولا للقلق ، وإن خير ما يصنع هو أن ينتظر مطمئناً نزول الدبوس من بطن ولده ، فإنه نازل لا محالة ، وفي الحالات النادرة جداً يتعرقل مرور مثل هذه الأجسام الغريبة في المعدة والأمعاء بحكم أنها كبيرة الحجم ، أو مدببة أو ذات زوايا حادة تجعلها تنحسر انخساراً في بؤغاز من بؤاغيز الأمعاء ، والأشعة كفييلة بإظهار مكانها دائماً ، وإزالتها يسيرة على الجراح في أغلب الأحوال .

### ثلاثة « بلا ليع »

ثمة ثلاث طوائف من الناس تتعرض لابتلاع هذه الأقداء : الأطفال والمجرمون والمجانين . وابتلاع هذه الأقداء الغريبة لا يحدث دائماً عن طريق السهو أو الخطأ كما هو المتوقع ، ولكن الدوافع فيه

متعددة بتعدد نفسيات من يتلونها وأعمارهم ، فالفتة الأولى وهى فتة الأطفال الدافع فيها عادة هو الجهل التام بنتائج هذا العمل ، وأكثر ما يتلونه قطع النقود الصغيرة والدبابيس ، وقد يكون الدافع أحياناً إخفاء هذه الأشياء عن عيون الآباء إذا اتهمهم بسرقتها ، وقد يتلعون بعض هذه الأقداء مع الطعام عفواً . . وقد روى لي أحد الجراحين أن المرة الوحيدة التى دعى فيها إلى إسعاف طفل من هذا القبيل ، كان المصاب فيها طفلاً فى الثامنة ، أكل قطعة كبيرة من اللحم - ولعله ازدردها ازدراداً ، وكان بها شظية حادة من العظم ، ففرت بسلام فى المرىء والمعدة والأمعاء ، ولكنها انحسرت فى آخر مرحلة من مراحل سفرها الطويل ، وأزيلت بجراحة بسيطة دون أن تنشأ منها أية أضرار .

### « أساتذة » البلع

وأساتذة بلع الأجسام الغريبة هم الفئة الثانية : فئة المجرمين . . . وكثيراً ما يلجأ هؤلاء إلى هذه الوسيلة ليتخلصوا من المسروقات الثمينة التى يضبطن بها أو الأحجار الكريمة ، أو المخدرات . . . وفى الحالة الأخيرة - المخدرات - لا ينشأ الخطر منها لأنها أجسام غريبة داخل المعدة أو الأمعاء ، ولكن لأنها سُموم قد يؤدى ابتلاعها إلى الموت من أقصر طريق . . . بيد أن بعض المجرمين من تجار المخدرات يخفيها فى أسطوانة معدنية صغيرة ويلحمها ثم يتلونها إذا ضبطن بها أو يخفيها فى الأمعاء ، اعتماداً على أنها ستمر بسلام ، ولكن الأقدار كثيراً ما تتدخل لغير

مصلحة الفاعل في مثل هذه الظروف . ولقد روى لي الأستاذ الدكتور محمد عمارة أستاذ الطب الشرعي في جامعة القاهرة مأساة شخص من هؤلاء الأشخاص ابتلع أسطوانة من هذه الأسطوانات ، في أثناء ضبطه ، ولكن القرائن كانت قوية ضده ، فقبض عليه وقدم للمحاكمة . وفي أثناء الجلسة اتصل بأهله وأخذ منهم خمسة قطع نقود فضية من ذوات الخمسة القروش ، وعشرين قطعة من ذوات القرشين ، وساعة جيب صغيرة ، وابتلعها كلها ليستعملها في السجن رشوة للحراس والتجاراً مع الزملاء في السجائر والحلوى كما يحدث كثيراً في هذه الظروف . ولقد كان خليقاً بأن يحقق كل ما أراد لولا تدخل الأقدار ، فقد مات المتهم في اليوم التالي ، ووجدت هذه الأشياء في بطنه أثناء التشريح ، ولكنها لم تكن مطلقاً سبب الوفاة ، وإنما كان السبب أن الأسطوانة التي فيها المخدرات موضوع الجريمة ، وكانت تحمل ثلاثين جراماً من الأفيون ، ذاب لحامها في الأمعاء ، فتحرر بعض الأفيون منها وقضى عليه .

### عين الطبيب

ولقد يلجأ بعض المجرمين للتخلص من حياة السجن بابتلاع موسى من أمواس الحلاقة أو مقدار كبير من الدبابيس ومنهم من يحاول بالطريقة نفسها أن يحتال على أطباء السجن لينقلوه إلى المستشفى ، فيتمتع ولو إلى حين ، بامتيازات المرضى في الراحة والطعام ، بل إن بعضهم يحاول الوصول إلى الهدف نفسه ، ولكنه يخشى مغبة ابتلاع الدبابيس والأمواس

فيدعى أنه ابتلع شيئاً من ذلك ادعاء ، وعندما يؤخذ للأشعة يضع موسى في جيبه ، أو ورقة دبابيس اعتماداً على أنها ستظهر في الأشعة بجوار الأمعاء وتخدع الطبيب ، فإذا عملت له جراحة كان هذا هو عين المطلوب . ولقد سمعت أن أحد أساتذة الأشعة وقع له حادث من هذا القبيل مع أحد المجرمين ، ولكن موضع الدبابيس في صورة الأشعة استلفت نظره فيه أنه بعيد عن الأمعاء . فعزى السجين من ملابسه وصوره صورة أخرى فظهرت فيها الدبابيس ولكن في موضع آخر ، فلما صور المجرم صورة جانبية اتضح أن الدبابيس في جدار البطن ولا علاقة لها ألبتة بالأمعاء . وبالبحث وجد أن المجرم كان مستعداً لكل هذه الاحتمالات فلما خلع ملابسه غرس الدببيس غرساً في جلد ظهره ليبعداها عن عين الطبيب !

### الخنون فنون

أما المجانين فلهم في هذا الباب نصيب كبير . . . وكثيراً ما توجد في معدات بعضهم بعد الوفاة العارضة ملاعق وشوك وسكاكين وقطع من الزلط والزجاج وأطقم أسنان ضاقت عنها بوابة المعدة فظلت فيها شهوراً أو سنين ، قبل الوفاة . . . ولقد وجد ذات مرة في بطن أحدهم « ورشة » مكونة من أربع وثلاثين قطعة منها مسامير ، وصواميل ومفاتيح ومفكات ، ولقد عرفت في الريف رجلاً أبله ابتلع ذات يوم عشر قطع من

« القروش الخردة » التي كانت تستعمل في النقد قديماً ، وكان حجمها مثل حجم الريال الفضى المعروف ، ومرت كلها بسلام !

### الإبر القاتلة

لقد كان الاعتقاد في الإبر والدبابيس قديماً أنها أجسام طوافة في الجسم تنتقل حرة من مكان إلى مكان ، بحكم حركة العضلات . . ولكن الحالات النادرة جداً التي وجدت فيها إبر في أماكن خطيرة يمكن عدها على الأصابع . . وأكثر ما يحدث مثل هذه الإبر - ولا سيما إبر الحقن التي تنكسر في موضع الحقن ، ولم تكن ملوثة بميكروبات - أن تظل في مكانها أو تتحرك حركة ضئيلة في محيط صغير . ولقد روى لي من لا أشك في روايته أن المرحوم الدكتور على إبراهيم انتقل إلى رحمة الله وفي جسده إبرة حقنة مقصوفة ظلت فيه أكثر من عشرة أعوام . . ولقد انكسرت في رأسي ذات يوم إبرة حقنة غليظة في أثناء جراحة صغيرة ولم أعرف ذلك إلا بعد بضعة أشهر عندما أحسست بشيء يخزني في داخل خدي كلما تئاءبت أو ضحكت . . ولما طال الأمر واشتدت مشاكسة هذا النواخر السخيف ، صورت خدي بالأشعة فوجدت فيه إبرة غليظة طولها ثلاثة سنتيمترات !

خدعوك فقالوا :

إن حمل خمسة أشهر يمكن أن يعيش !

الناس مولعون بأخبار العجائب . . . كل عجيبة تولد وتكبر وترعرع في الأذهان من طول التكرار وتهويل المبالغات ، ثم تنطق زوبعها بعد حين ، لأن الناس كلما يصبرون على طعام ، وسرعان ما تظهر عجيبة أخرى فتزوى الأولى ، وتتقهقر مغلوبة على أمرها إلى زاوية من زوايا النسيان . ولكن الويل للعجيبة التي تنسى هذا التسلسل الواجب في التاريخ الطبيعي للعجائب ، فتولد وسابقتها مازالت جالسة في عنفوان مجدها على العرش ، والتاج على رأسها يتلألأ بما يضاف إليه كل يوم من نفائس الواقع أو ذخائر المبالغات .

من هذه العجائب التعسة الحظ عجيبة ولدت واهتمام الناس موزع بين أمريكا وبين جنوبي أفريقيا ، يتابعون باهتمامهم معجزات زرع القلوب الشابة في صدور شيوخ أنهارت قلوبهم . ولدت هذه العجيبة المسكينة في هذا الزحام ، فلم تجد قابلة ترعاها ، ولا حاضنة توطئ لها مهد البقاء والنماء .

في المشرحة

وتبين من تشريح جثة هذه العجيبة السيئة الحظ أن سيدة من باب

الشعرية - والفاتحة لسيدى الشعراني - وضعت ثلاثة توأم ، وأن السيدة اسمها كذا ، وأن توأمها الثلاثة في صحة جيدة ، وأن من قام بعملية التوليد هم - بالأمانة ! - أطباء المستشفى فلان وفلان وفلان . . .  
ولا بد أن كل توأم حمل اسم طيب من الفرسان الثلاثة المولدين !  
إن العجبية ليست في أن هذه السيدة التي من باب الشعرية وضعت ثلاثة توأم . . . كلا . وليست العجبية في أن التوأم الثلاثة يعيشون في صحة جيدة . . .

لا تتوى العجبية هنا ولا هناك ، ولكن متواها في أن الحمل الذي أسفر عن هذه الذرية الصالحة لم تزد مدته على خمسة أشهر ، وهي مدة للحمل المنجب لا تقبلها ذمة أى طب في العالم ، ولا تهضمها معارف أى طبيب لا في مستشفى باب الشعرية ولا في مستشفى واق الواق . . .  
إن من المعارف العامة أن الجنين الذى يولد قبل استكمال الشهر السادس من الحمل غير قابل للحياة ، ولا حتى بالعكاز .

إن مواليد نهاية الشهر السادس نفسه يولدون في العادة موتى ، أو يولدون أحياء ولكن شعلة الحياة تنطفئ فيهم على الفور دون أن يتسع لهم الوقت لتسجيل أية معجزات ، أو الاشتراك في مواكبها ، أو وضع أكاليل الغار على رؤوس هذا أو ذلك من الأطباء ! !

### ديب الحياة

نعم ، إن النطفة التي تحولت إلى علقة ، ثم مضغعة خلال الأشهر

الأولى من الحمل ، تدب فيها الحياة وهى تتخلق . . . فيخفق قلب الجنين فى منتصف الشهر الرابع ، وحوالى نفس الوقت يرتكض الجنين فى بطن أمه تلك الارتكاضة الحلوة التى تملأ سماء الأم بالمنى والأحلام . . إن الجنين حى . . نعم ! ولكن حياته حينئذ تكون حياة الكائن المعتمد على سواه ، وليست حياة المخاوق المستقل الذى يستطيع إذا ولد أن يجاهد فى سبيل البقاء . .

إن الصلة التى تربطه بأمه يومئذ لا تكاد تنقطع حتى يموت . . إنه غير قادر على مواجهة جو الحياة القاسى ، ولا هو مسلح بأى سلاح لهذا الجهاد الشاق . .

إنما تبدأ فرص الحياة فى الظهور أمام الماود الحديدجـ وهو الماود قبل الأوان - حين يكمل الشهر السابع من حياته الرحمية . . فإذا بلغ الشهر الثامن كانت هذه الفرص أقوى وأكبر . . إن كل يوم يضاف إلى العمر الرحمى للجنين بعد الشهر السابع ، يزيد من فرص الحياة أمام الماود ، ويضيف إلى رصيد الأمل فى حياته - إذا تساوت الظروف - ويسجل له نقطة فى حساب البقاء .

### مسألة وزن

مع ذلك فإن الماود الحديدج حتى لو كان عمره سبعة أشهر أو ثمانية لا توجد لديه فرصة للبقاء إذا قل وزنه عن كيلو جرام واحد ، مقارناً بالكيلوجرامات الثلاثة والنصف التى يزنها الجنين المكتمل الحمل والصحة .

فإذا زاد وزنه على كيلو جرامين ونقص عن الثلاثة احتاج لكي يعيش إلى رعاية خاصة من الأم تحميه من عوادي الجو . ومن أخطاء التغذية ، ومن قذارة المحيط . . .  
أما إذا كان بين بين ، فإن حياته تصبح مرهونة بالرعاية الطبية التي تتولاها بالعناية الدائمة .

### هول القيامة

وأيّما كان الأمر فإن حكاية توأم باب الشعرية الثلاثة وتلوينها بهذه الصبغة الزائفة من أصباغ الأعاجيب ، قد صادفها سوء حظ كبير حين ولدت في زحمة الأحداث ، أحداث القلوب المزروعة من جانب ، وأحداث ضيافة الرئيس جونسون للخواجة أشكول من جانب آخر ، وقصة غرامهما العجيبة التي فاقت قصة غرام دليلة وشمشون .

لقد ولدت لسوء حظها ميتة .

وانطبق عليها قول شوقي :

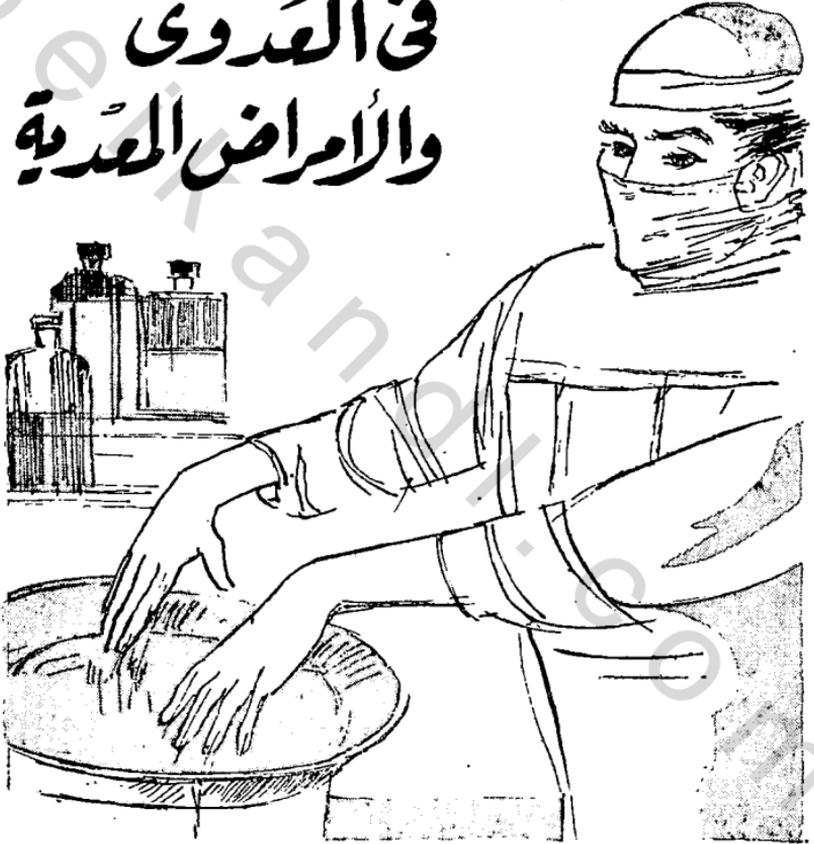
من مات في هول القيامة لم يجد

قدماً تشيع أو حفاوة ساعى !



# البَابُ الثَّالِثُ

## فِي الْعَدْوَى وَالْأَمْرَاضِ الْمُعْدِيَةِ



خضعوك فقالوا :

## إن التطعيم واق من الجدري في كل الأحوال

نستطيع اليوم أن نسمع عن وجود إصابات بالجدري . فلا يرتعش لنا عصب أو نحس بالذعر الذى كان يحسه أجدادنا الأوائل عندما يدهمهم مثل هذا النذير .

إن هذا الوباء الذى تقاسم هو والطاعون فى القرن الثامن عشر لقب « الموت الأسود » والذى هزأ ميكروبه بالعالم عدة قرون منذ فجر التاريخ قد حطم محالبه القاتلة طيبب قروى صغير عاش فى أوائل القرن التاسع عشر فى قرية صغيرة من قرى إنجلترا ، فدان العالم بذلك اللقاح الباهر الذى أصاب الجدري فى مقتل ، والذى اكتشفه قبل أن تعرف جرثومة المرض ، وقبل أن يدرك البشر قليلاً أو كثيراً من جرائم الأُمراض . . .

## قدم التاريخ

إن الجدري مرض قديم قدم التاريخ ، وقد وجدت آثاره البشعة على وجوه موميات التمراعة ، ولكنه لم يفض على العالم كطوفان إلا فى القرن السابع عشر ، حيث كانت موجاته المتلاحقة تعصف بالمدن والمدنيات ، وحيث كان كل إنسان مقدراً عليه أن يصاب به قبل أن يبلغ أشده ، وحيث كان الآباء والأمهات يعرضون أبناءهم لعدواه القاتلة حتى يفرغوا من أمرهم ، ويرفعوا عن رقابهم هذا السيف المصلت ، إما

إلى موت ، وإما إلى حياة ، وحيث كانت الأم في الصين لا تعد من أولادها ولداً لم تقرعه القارعة بعد ، ففتصل في أمره : ألها الولد أم لثواه الأخير في التراب . .

وبلغ ضحايا الجدرى في أوروبا في القرن الثامن عشر ستين مليوناً . .  
 وخلال الحرب الأوروبية التي تلت الثورة الفرنسية . مات بالجدرى وحده في أوروبا ستة ملايين !

وعندما أدخل الإسبان الجدرى إلى أمريكا بعد اكتشافها بخمسة عشر عاماً مات في المكسيك من الجدرى ثلاثة ملايين ونصف في فترة وجيزة من الزمان . .

وقدر عدد ضحايا الجدرى بين الهنود الحمر يومئذ - وكان عددهم اثني عشر مليوناً - بستة ملايين !

وكان عدد سكان أيسلندا في سنة ١٩٠٧ خمسين ألفاً مات منهم بالجدرى ١٨ ألفاً عندما داهمهم الوباء في ذلك العام .

ولقد كانت مصر على الدوام مسرحاً لموجات متتالية من هذا الوباء ، تعصف بسكانها كل بضع سنوات ، والذين أدركوا منا بداية هذا القرن ، كثيراً ما طالعتهم أفاعيل الجدرى في أولئك النبين نجوا منه ، وجوهاً منقورة وعيوناً عمياء . .

### حتى الملوك !

ومنذ عرف الجدرى لم يعرف عنه . . أنه احترام أحداً بلجنس أو لمركز أو لسن ، فحيثما كانت تقع جرثومته على أرض صالحة ، كانت

تبت وتينع وتبتش ببلاط الملك كما تبتش بكوخ الفلاح . .  
مرض به شارل التاسع ملك فرنسا ، فانخسف جزء من أنفه ، حتى  
أصبح له أنفان !

وأصيب به لويس الرابع عشر . . .  
ومات منه لويس الخامس عشر بعد أن نجامنه مرة في صباه . . . .  
وقضت نجبها تحت سنابكه ماري الثانية ملكة إنجلترا في عنفوان  
الشباب . . .

إن عدواه عدوى طيارة كعدوى الحصبة والأنفلونزا ، يعتبر فيها  
مريض الجدري كوكب النحس ، يرسل أشعته القاتلة على مخالطيه  
ومخالطي مخالطيه في كل اتجاه . . . لا عاصم منها إلا اللقاح . .

### شاعر يدين العالم !

كان « إدورد جنر » الذي اكتشف لقاح الجدري في سنة ١٧٩٦  
شاعراً من شعراء الطبيعة ، وموسيقاراً يعزف على الناي والقيثار ، وهاوياً  
من هواة الطيور ، وعندما أعلن اكتشافه على الجمعية الملكية الطبية  
بإنجلترا ، قوبل اكتشافه بالرفض والاحتقار !

ولكن ماهي إلا سنوات حتى كافأه البرلمان الإنجليزي على هذا  
الاكتشاف الخطير بعشرة آلاف جنيه ، زادها بعد أربع سنوات إلى  
ثلاثين ، وعينه طبيباً فوق العادة للبلاط الملكي . . . وكتب له رئيس  
الولايات المتحدة يومئذ يقول : « إن أم المستقبل ستعرف من التاريخ

أن مرضاً رهيباً اسمه الجدرى كان يبطش بالعالم يوماً ما ثم انقرض على يدك ! »

ولكن هذه النبوءة لم تتحقق كلها لسوء الحظ ، لأن اكتشاف « جنر » لم يول من الرعاية ما يستحقه على الدوام . . .

لقد اصطدم بالخرافة ، كما اصطدم بالعقيدة ، ولكنه انتصر في النهاية ، وأصبح اليوم سلاحاً ضد الجدرى معترفاً به في كل مكان . .  
ولقد كانت مصر من أوائل الأمم التي اعتنقت سنة التطعيم ضد الجدرى على يد « كلوت بك » فجعلته إجبارياً على كل طفل قبل أن يبلغ الشهر الثالث من عمره ، كما أنها حتمت على البالغين إعادة التطعيم كل أربع سنوات ، وكلما رفع الجدرى رأسه ، وعرض أحداً من سكانها لعدواه .

## خرافات ..

ولقد كانت هذه السياسة خليقة أن تجتث جرثومة الجدرى اولاً اصطدامها هي الأخرى بسلسلة من الخرافات . . . .

وأولى هذه الخرافات أن التطعيم إذا لم يحدث في ذراع المطعم آثاره المعروفة كان هذا دليلاً على مناعته الطبيعية على الداء . .

وليس أوغل من هذه الخرافة في الضلال !

فالجدرى لا توجد مناعة طبيعية عليه . . وإنما يفشل التطعيم إذا فشل

لأن الطعم المستعمل إذا فارق الثلاجة أصبح سريع البوار ، يفسد إذا تعرض للدفء زمناً في جيب الطيب ، ويفسد إذا استعمل في خدش الجلد مبضع ساخن ، ويضيع فعله إذا سال من خدش الجلد في موضع التطعيم دم كثير ، أو أسغ الكم على موضع التطعيم قبل أن يتشرب الجراثيم . . . وكثيراً ما يرى الطبيب أطفالاً طعموا أربع مرات أو خمس مرات دون نتيجة ثم يطعمون السادسة فينجح التطعيم ويؤتى أكله المعروف .

### مناعة « الكونكريت »

والخرافة الثانية أن المناعة الحادثة من هذا التطعيم مناعة كمناعة « الكونكريت » على الرصاص . . . وهذا وهم ، فإن المناعة الحادثة وإن كانت قوية فعلا ، وقد تدوم عدة سنوات ، فإنها لا تدفع المرض في كل الأحوال . . .

ومن أجل ذلك تستوجب وزارات الصحة إعادة التطعيم . كلما وجد المرض وحدث التعرض لعدواه ، بغض النظر عما إذا كان الشخص قد طعم من قبل في زمن قريب أو بعيد . . .

نعم إن مثل هذا الشخص المطعم قبل عام أو عامين ، أو أدركه النحس فأصيب بالمرض ، كانت إصابته بسيطة . وكان مرضه رقيقاً ، وكادت مضاعفاته تنعدم ، ولكنه مع ذلك يكون مصدراً لعدوى مخالطيه عدوى قاتلة إذا لم يعصمهم اللقاح .

## مسألة وقت !

والخرافة الثالثة أن التطعيم الناجح يدفع المرض عن مخالطى المريض إذا عمل في أى وقت كان . .

وهذا ضلال ، فإن المناعة الحادثة من الطعم لا تنشأ إلا بعد تسعة أيام من عملية التطعيم الناجحة ، ولذلك يعتمد رجال الصحة في هذا المرض على مزية التبكير بعملية التطعيم ، على أوسع نطاق ممكن ، حتى يقطعوا الطريق على الوباء . .

ولقد حدثت يوماً ما إصابة بالجدري في نيويورك ، فحشدت السلطات الصحية هناك كل أطباء الملبنة ، بحيث تم تطعيم ثمانية ملايين شخص في بضعة أيام ، فانحسم الوباء . .

## الاستحمام والتطعيم

وهذه خرافة أخرى نبتت مع غيرها من خرافات التطعيم ، وظن كثير من الناس أن الشخص المطعم يجب ألا يقترب من الماء ، حتى يصل الطعم إلى آخر مداه . . .

والواقع أن جرثومة الطعم مادامت قد انفرست في خدش الجلد فإن الماء لا يزيل أثرها الدفين .

ويكفى أن يمتنع المطعم عن الاستحمام يوماً ، ثم يستحم فيما يليه كما يشاء وليس الحمل من موانع التطعيم كما يعتقد كثير من الناس ، وإنما

تمنع منه وتدعو إلى تأجيله الأمراض الجلدية والإكزيما ، والضعف الشديد ، والحميات .

## سلاح لا يخيب

إن في يدنا الآن سلاحاً لا يخيب ضد الجدرى ، ولكن ما قيمة سلاح لا نستعمله ، وما جدوى السيوف في الإعتماد ؟  
إن الجدرى مرض لا يلعب معه . ويكفى أن أردد ما قاله عنه المؤرخ الأديب « ما كولى » لأختم به هذا النذير :

« إن هذا المرض الذى انتصر عليه العلم انتصاراً مجيداً كان يوماً ما أفظع سفير من سفراء الموت فى العالم . . لكم ملاً أفنية الكائنات بالحث وكم عذب بالخوف الدائم ألباب أولئك الذين لم يصابوا به ، وكم ترك آثاره الرهيبة على أولئك الذين نجوا منه ، وكم حول الرضيع إلى مسخ ترتعش أمه من مرآه ، وكم جعل من وجنات العذراء الفاتنة وعيونها الساحرة مصدراً للرعب والفرع فى عين خطيبها الوهان ! »



## تخدعوك فقالوا : إن البرد أصل الزكام !!

الزكام عدوى ، وليس البرد إلا عاملاً تافهاً فيه ، شأنه شأن عدة عوامل أخرى تضعف مناعة الجسم على جرثومة الزكام .  
وفي آخر رحلة لمستكشفي القطب الشمالي ، حيث تكون حرارة الجو دون الصفر بمدى بعيد ، لم يصب أحد من هؤلاء المستكشفين بالزكام حتى فتحوا صندوقاً للملابس ، واستنشقوا ما علق بها من جراثيم الزكام .

وقلما تصاب بالزكام وأنت تركب البحر أو تضرب في الصحراء مها اشتد البرد وقسا الزمهرير .  
ومن المؤكد أن الإنسان الأول عندما كان يعيش في العراء ، وفي أحضان الطبيعة ، قليل الحاجات والمطامع ، لم يكن يعرف الزكام ، وأنه لم يعرفه إلا منذ عرف الغرف الدافئة المكتظة ، وعرف « السينات » والمقاهي والمراقص ، وعرف زحام المطامع الموبقة في سباق البشر القاتل على أسلاب الحياة .

إن المزدكوم إذا عطس خرج من فمه وأنفه قرابة مائة ألف قذيفة ، كل منها موسوق بألوف الجراثيم ، وكل منها يبلغ من الصغر حداً لا تراه العين ، وكل منها يسبح في الهواء عدة أمتار ، وقد يبق

عالمًا به بضع دقائق ، ومن ثم كان خطر الازدحام في « السينات » والمدارس والمكاتب ، وحيث تقوم الجدران والسقوف بوجه عام ، وحيث يركد الهواء وتشع أشعة الشمس المطهرة ، وتسبح هذه القذائف في الجو على زوارق من ذرات التراب .

إن جسمك في مثل هذه الغرف يصبح كالفرن من احتباس الحرارة فيه ، وتكون أغشية فلك وحلقك محتقنة بالدم احتقان الجلد سواء بسواء ، فإذا تعرضت بعد ذلك للهواء البارد استحال هذا الاحتقان إلى جفاف ، وفي هذا الانتقال المفاجئ ينفجر في جسدك ما أصابه من قذائف المذكوم .

وأشد مواطن الضعف في جسمك هي الأقدام الدافئة عندما تتعرض للهواء البارد ، وعندما أدخل تكييف الهواء على مجلس العموم البريطاني ، كان مدخل الهواء يحاكي الأقدام . وعلى الرغم من أن الهواء المجلوب كان دافئاً ، فإن دفاؤه لم يستطع أن يناهض سخونة الرعوس المنبعثة من حرارة المناقشات ، فتخلف في اليوم التالي أكثر من ثلث أعضاء

المجلس مصابين بالزكام !!

وأكثر ما يصاب الأطفال بالزكام عندما يخرجون من مهددهم الدافئة في الصباح حفاة الأقدام .

وليس الخطر من قذائف الزكام وحدها ، فقد تستنشق عدداً منها ولا تصاب ، لأن التربة ليست مهيأة للزرع ، أو بعبارة أخرى لأنك في مناعة مؤقتة على جرثومة الزكام .

ولأنما يهيض من هذه المناعة ويقص من حواشيها ، السهر المزمّن ، والجوع ، والإجهاد على أى صورة ، والفوضى فى الحياة ، والاحتماء من « البرد » بنار المدافئ والغرف المكتظة المحبوسة الهواء . إن الهواء الطلق البارد نعمة من نعم الله ، ولكننا نحقره لأنه رخيص ، ولو كان الهواء الطلق البارد يباع لاشتريناه بأعلى الأثمان .

وأكثر عباد الله خشية للهواء الطلق البارد المنعش وأضعفهم مقاومة الزكام هم المصبدورون ، وقلما تجد منهم من لا يسجن نفسه فى ليالى الشتاء - اتقاء البرد - فى سجن لا يعرف طريقه الهواء ، فإذا ذهبوا إلى المصححات ، أجبروا إجباراً على فتح النوافذ ليلا ونهاراً فى الصيف والشتاء ، وقد يصابون بالزكام مرة أو مرتين ، ولكنهم يكتسبون بعد ذلك مناعة على الزكام لا يؤثر فيها برد طوبة ولا زمهرير أمشير !!

ولو كان ضرر الزكام مقصوراً على أن تعطس وتسعل هان . إن العلماء يضعونه اليوم فى قائمة واحدة مع الزهري والسرطان .

يسمونه من أجل ذلك « طاعون البشرية الثالث » ، وذلك لأن الزكام - فوق أنه أكبر باعث على العطلة فى العالم ، يمهد الطريق لمائة مرض ومرض ، منها الزوائد اللحمية فى حلوق الأطفال ، وما قد يتبعها من هزال وضعف فى نمو العقل والبدن ، والتهابات فى الزور والآذان ، ومنها التهاب الكهوف العظمية فى الرأس ، وما يتلوه من علل فى المفاصل والأعصاب ، ومنها التهابات شعب القصبات الهوائية والرئة ولاسيما فى الشيوخ حيث يستطيع زكام بسيط أن يختم قصة الحياة فى بضعة أيام .

وكل هذا يمكن أن نتوقاه بالعودة إلى كنف الطبيعة ، وبهجرتان المدافئ ما استطعنا ، وبالعيش في الهواء الطلق في الليل والنهار والصيف والشتاء ، وبالفرار من الأماكن المكتظة المغلقة كما نفر من المجدوم ، وبتقليل التراب في بيوتنا برش غرفها قبل الكنس بالرمل المندى بالماء ، فإن التراب الذي يتناثر في الهواء يحمل معه ما كان استقر بالأرض من قذائف المرض ، وباعتزال الناس عندما نصاب بالزكام .  
الهواء الطلق البارد منعش ومقوّ ، بل هو ترياق ، ولا يمكن أن يكون سمّاً إلا للذى يخشاه . . .

والطبيعة أم حنون لا يمكن أن تقسو على غير ابنها العاق ، الذى يكفر بآلائها ويقفل نوافذه دونها في غير ضرورة قصوى - حتى لا يراها ولا تراه !!



خدعوك فقالوا :

إن الكحول أمان من البرد

ما أبكر الأوهام والأضاليل التي تحيط بالكحول في تقدير شاربيه . . . زعموه نبراسا للعقل المغلق ، ووحياً للشاعر ، وإلهاماً للفنان ، وفصاحة للأبكم ، وشجاعة للجبان ، وقوة للضعيف ، وبهجة للحزين .

والواقع من كل هذا أن المرء وهو مثل ، أضعف منه وهو مفق ، وأضل منه تفكيراً وأكثر منه عرضة للخطأ ، وكل ما يحس به إنما هو زيف يصوره له التحرر من هيمنة القوى العليا في ذهنه ، وهي ضبط النفس ، والشعور بالمسئولية ، والخضوع لأمالى العرف والتقاليد والشرائع ، وهذه القوى يشلتها الكحول أول ما يفعل بعقول شاربيه ، فإذا ما انشلت هذه الأعنة الحاكمة ، ارتدّ الشارب إلى طبائعه الدنيا ، تجمع به حيث شاءت وشاء ، وصدق فيه ما قال الشاعر العربي :

والخمر كالريح . . إن مرت على عبق

تذكو ، وتخبث إن مرت على الجيف !

وأشدّ من هذه الأوهام كلها زيف ما يحس به المخمور من دفء يستعين به على ملاقاتة البرد والزمهرير . . إنه دفء كاذب ، كذب الفصاحة التي يزعمها لنفسه ، والقوة التي يتخيلها سارية في عضلاته ، والخيال التافه الذي يتدفق في ذهنه . . .

ومرد هذا الدفء الكاذب إلى ما يحدثه الكحول من تمدد في أوعية الجلد الدموية ، وما يؤدي إليه هذا التمدد من امتلاء بالدم ، والدم بطبيعته حار ، يمنح المخمور شعوراً بالدفء اللذيذ ، ولو قيست حرارته في الوقت الذي يحس به هذا الدفء لوجدت الحرارة هابطة نصف درجة ، أو درجة كاملة عن مستواها الأصلي . . . وذلك أن تمدد الأوعية الدموية في الجلد واحتقانها بالدم ، يجعلان الجسم يفقد حرارته بسرعة ، وما لم يعوض عن هذه الحرارة المفقودة بالمجهود العضلي ، كالمشي والحركة ، أو بتثقيل الغطاء ، فإن المخمور كثيراً ما يتعرض لأذى البرد ، وكثيراً ما يصبح أقل مناعة على عدوى الزكام والالتهابات الرئوية .

نعم إن المزكوم في مبدأ الزكام قد يستفيد من جرعة من الكحول وهو راقد في فراشه مثقل بالغطاء . . . ولكن الفرق كبير بين هذا ، وبين أن يخرج المخمور من حانة مغلقة النوافذ، مكتظة بالشاربين ثم يعرض نفسه للبرد ، استناداً إلى ما يحسّه من هذا الدفء الدخيل .

صدق رسول الله عندما قال : « لعن الله الخمر وشاربها وساقبها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه » أو كما قال .

## خدعوك فقالوا :

### القبلة سفير الخيبة

إن الشفاه التي لها مذاق الرحيق ونعومة الحرير ، ونشوة الكأس ، وحمرة العنودم ، يجوز أن يكمن فيها سم العقرب في بعض الأحيان !! فالقم والأنف والحلق والشعب الهوائية مباءة لعشرات من الجراثيم المرضية ، قد لا تؤذي صاحبها لمناعة فيه ، ولكنها تؤذي الغير إذا لم تكن له المناعة نفسها . . . وهذه الجراثيم تخرج من الفم مع السعال والعطاس والتثائب والصرح ، وكثيراً ما تموت إذا طال تعرضها للشمس والهواء ، لأن معظمها أشبه ما يكون بالسمك إذا خرج من البحر أودى به الجفاف ، ولكن إذا ما دخلت فم شخص آخر - ليست لديه حصانة الأول - نمت وترعرعت فيه ، ورعت من صحته وعافيته ما يقدر لها أن ترعاه .

إن العدوى أشبه ما تكون بقطرة يجب أن تجتازها الجراثيم المرضية بين مصدرها في المريض أو حامل الجراثيم ، وبين هدفها في الشخص السليم . . . وكلما قصرت القنطرة ، وقلت فيها العوائق أصابت الجراثيم هدفها بسهولة ، وكلما طالت القنطرة وتعددت فيها العراقيل ، أخطأت الجراثيم غرضها ، وقتلتها مشاق الطريق . وعندما تتلاقى الشفاه بالشفاه في قبلة لا تقصر القنطرة فحسب ، ولكنها

تتلاشى ، ولا تقل عوائق الجراثيم فحسب ، ولكنها تزول . وشر ما تكون القبلة وأخبث عندما توضع على شفتى طفل برىء ، وبالأخص إذا كان الطفل رضيعاً ، لا حيلة له فى نفسه ، ولا قدرة لديه بعد على دفع الأذى أو مقاومة الجراثيم .

إن هذه القبلة كثيراً ما أعدت بالسل أطفالا ، وطالما دهتهم بالأنفلونزا والحصبة والسعال الديكى والالتهاب السحائى والنزلات الرئوية وعشرات غيرها من الأمراض ، وهم من غضارة العود ، وضعف المناعة ، ورقة الحاشية ، بحيث لا يستطيعون الصمود .

إن القبلة قد تكون سفيراً للمحبة ، ولكن هذا السفير كثيراً ما يخطئ - دون قصد - فيحشو حقييته السياسية ببعض آلات المرض والموت والدمار !!



خدعوك فقالوا :

### إن الحصبة لا تصيب إلا الأطفال

كثرت إصابات الحصبة بين الأطفال في هذه السنين، وبدأت موجتها الوبائية تجتاح بلادنا مرة في كل عامين . وبرغم أن معظم المصابين من الأطفال ، فليس معنى ذلك أن الحصبة تحب كل الناس ، ونفسها حلوة لجميع الأعمار ، ولكنها حيث تتوطن وتوجد على الدوام ، يكون الكبار متمتعين بمناعة قوية منذ إصابتهم بالمرض وهم أطفال والذين لا يتمتعون منهم بهذه المناعة ، يقعون مثل أى طفل تحت ضربات الوباء .

### نحن والحصبة

إن انتشار الحصبة يختلف باختلاف المجتمعات . ففي مثل مجتمعنا المزدهم بالسكان توجد الحصبة في كل الأوقات ، وعلى مدار العام ، أى أنها مرض متوطن في بلادنا ، وإن اختلف توزيع إصاباته على أشهر العام وعلى مدار السنين - ففي السنين الوبائية تكثر في الشتاء والربيع ، وتضع بصمتها على كل بيت به شخص أو أشخاص لا يتمتعون بمناعة عليها من مرض سابق ، أو تحصيلين قديم . ولما كان معظم العزل من هذه المناعة في بلادنا

من الأطفال فإنها تنتشر بينهم ، وتنتقل مثل انتقال النار في الهشيم من طفل إلى طفل ومن مكان إلى مكان لأنها من أسرع الأمراض المعدية انتقالاً بين المرضى والأصحاء : ويكفى أن يفتح الطفل القابل للعدوى باب غرفة أخيه المريض ، ويقول له صباح الخير حتى تكون فيروسات المرض المبعثرة في الهواء قد دخلت أنفه أو فمه أو عينه دون استئذان. ، ويظل الوباء على منواله هذا في اصطفاء فرائسه من بين الأطفال حتى تستنفد موجته كل أغراضها ، ولا يبقى من بين الأطفال القابلين للعدوى إلا قلة بسيطة ، لا يصيبها المرض لأنها لم تتعرض - عن طريق المصادفة المحض - لحيوش الوباء السابجة بغير انتظام في الهواء - وتنحسر الموجة الوبائية في بضعة أشهر ، تاركة مكانها لحالات مبعثرة هنا وهناك تظهر بين الحين والحين بين أولئك الأطفال الذين لم يتعرضوا لموجة الوباء . ويظل الأمر على هذا المنوال بقية العام والعام الذي يليه ، لأن المواليد الجدد من الأطفال تكون لديهم ذخيرة من الأجسام المضادة لجراثيم المرض يرثونها من الأمهات ، فتحميهم عدة أشهر من غوائل الوباء . وكذلك لا تحدث موجة وبائية في العام التالى للموجة السابقة ، وإنما تظل الحصبة على حالاتها المبعثرة هنا وهناك كأنها نار تحت التراب ، فإذا جاء العام التالى يكون قد تجمع من الأطفال غير المحصنين عدد كبير من بين مواليد السنتين اللتين فقدوا فيهما مناعتهم الموروثة من الأمهات ، أى أن كومة طيبة تكون قد تكونت من الحطب

الجفاف ، فلا تكاد جراثيم المرض تصل إليها حتى تنتشر فيها من جديد انتشار النار في الهشيم فتحدث الموجة التالية للوباء .

### خيار وفاقوس

هذه هي استجابة مجتمعنا المزدحم لعدوى الحصبة ، هو وأمثلة من المجتمعات . بيد أن كل المجتمعات ليست من هذا القبيل ، فثمة مجتمعات صغيرة ومنعزلة لم تعرفها الحصبة قط ، ولم تطأ أرضها .  
 قدما مريض ، هو مصدر العدوى الوحيد ، أو لعلها عرفت في الماضي ، ثم انجلت عنها فترة طويلة من الزمن ، وفي مثل هذه المجتمعات المنعزلة التي لا مناعة فيها على الحصبة ، لا يكاد يفد عليها مريض بالحصبة حتى ينثر جراثيم المرض من حوله ، في سحاء جعفر البرمكي ، وهو ينثر من يده الدراهم والدنانير ، فتحدث موجة وبائية جارفة لا تحترم سنناً ، ولا توقر كبيراً ، ولا تفرق بصغير ، ولا تفرق بين غني وفقير . ومن الأمثلة المعروفة لمثل هذه العدويات الضارفة من الحصبة ، وباء حدث في الجزء الجنوبي من جزيرة جرينلند ، المعروفة الآن بسقوط طائرة محملة بالقنابل الهيدروجنية الأمريكية عليها ، وضاعها في الثلوج ، أصاب ٩٨ في المائة من سكان المنطقة البالغ عددهم ٤٣٢٠ شخصاً ، وكان ذلك سنة ١٩٥١ . وفي جزر فارو الواقعة شمال الجزر البريطانية حدث وباء للحصبة سنة ١٧٨١ ، واستنفذ الوباء أغراضه في السنة نفسها ، وانجاب عن هذه الجزر التي ظلت بمنجاة منه ٦٥ عاماً ،

حتى كانت سنة ١٨٤٦ ، حيث وفد على هذه الجزر نجار دانمركى ، ترك كوبنهاجن عاصمة الدانمرك في ٢٠ مارس ، ووصل إليها يوم ٢٨ . وكان بادى الصحة ، لا يشكو من أية أعراض ، ولكنه بعد يومين من الوصول مرض بحمى مصحوبة بزكام وسعال واحتقان فى العينين يصحبه فيض من الدموع ، وهى الأعراض الأولى لمرض الحصبة ، وبعد يومين ظهرت فى فمه ، وعلى الغشاء المخاطى المبطن للخد تلك النقطة المميزة لمرض الحصبة والى تشبه نثاراً من ملح السفرة تبعثر على خرقة حمراء .

وفى اليوم الرابع من بداية الحمى ظهر طفح الحصبة المألوف المكون من بقع حمراء متعددة وغير منتظمة الشكل ، وتزول بالضغط عليها ، بادئة من الجبين ومن خلف الأذنين ، ثم مثنية بالوجه والعنق ، ومثلثة بالجذع والذراعين وهكذا حتى تشمل البدن كله ، ثم تبدأ تنطفىء بعد اليوم الثالث من ظهورها بالترتيب نفسه الذى اشتعلت به ، تاركة وراءها قشوراً رقيقة كأنها ردة الطحين . إن الأسطى النجار كان قد اتصل قبيل سفره من كوبنهاجن بمريض بالحصبة ، ولما كانت حضانة المرض عشرة أيام فقد ظهرت عليه بوادر الحمى يوم ٣٠ مارس بعد وصوله بيومين . . . ومنذ ذلك اليوم اندلعت الحصبة بين سكان الجزر بسرعة الشياطين ، وأصابت ٦١٠٠ شخص من جميع الأعمار من بين ٧٨٦٤ شخصاً هم كل السكان ، ولم يسلم من المرض غير المعمرين الذين استمدوا مناعة

من وباء سنة ١٧٨١ . ومات من المصابين ١٧٠ شخصاً بمعدل يكاد يصل إلى ٣ في المائة من مجموع الإصابات ، وإن بلغ هذا المعدل بين الأطفال الرضع الذين لم يكملوا الحول الأول من عمرهم حوالى ٣٠ في المائة أى عشرة أمثال المعدل العام ، ومن المعروف أن الحصبة تكون أشد ضراوة فى السنة الأولى من العمر ، وتليها الثانية ، ثم الثالثة حيث تبدأ السن التى ترفق فيها الحصبة بالمصابين ذوى البنيان المرصوص ، وإن كانت تعامل الضعفاء والمرضى بأمراض مزمنة بالقسوة نفسها التى تعامل بها الأطفال الصغار .

### مرض بلا علاج

إن الحصبة فى ذاتها مرض بسيط ومسال إلى حد كبير ، ولكنها مرض بلا علاج ، وقد تحدى حتى اليوم كل وسائل الطب والعقاقير ، وكافة حيل الأطباء . . . بيد أن المضاعفات الشريرة التى تحدثها الحصبة والتى قد تكون سبباً فى إجهازها على الرضع والضعفاء ، سواء كانت التهابات فى المخ ، أو فى الرئة أو فى الأمعاء ، هذه المضاعفات هى التى تتفقر أمام العلاج . ومن أجل ذلك فإن علاج الطفل المصاب بالحصبة ينصب دائماً على توقي هذه المضاعفات قبل حدوثها وعلاجها إذا حدثت نتيجة الإهمال فى رعاية المريض . والذى يستطيع أن يقوم بهذا العلاج الواقى هو الطبيب . والعسل الأسود لا قيمة له من هذه الناحية ، وقد يكون ضرره أكثر من نفعه

في مثل هذه الظروف ، كما أن الثياب الحمراء والستائر الحمراء لا جدوى منها في هذا النوع من العلاج ، وإن كانت لها فائدة فهي لإراحة عيني المريض الملتهبتين من الضوء الباهر الذي تمتصه الألوان الحمراء .

### كاشف البلاء

في الماضي كانت الحصبة بلاء على الطفل لا راد له ولا كاشف لأذاه - وكان ثمن المناعة الدائمة على المرض هو الاستسلام للوباء . أما الآن فيوجد لقاح واق من الحصبة يؤخذ حقنة تحت الجلد ، في الشهر التاسع من العمر ، فيحمي الطفل من الحصبة ومن مضاعفاتها الشريـر منها وغير الشريـر . وهذا اللقاح فتح من الفتوح الطبية التي أفاضتها على البشر سنوات القرن العشرين . . .



خدهوك فقالوا :

إن الحصبة يشفيها العسل الأسود والثياب الحمراء !

معرفة الأم المصرية بالحصبة وثيقة ، فبين الاثنتين خبز وملح منذ أقدم العصور ، وقدرتها على تشخيص الحصبة قد تفوق قدرة كثير من الأطباء الناشئين ، وهي قلما تخطئ في هذا التشخيص ، وحسبها أن ترى طفلاً محموراً يسعل ، ويرشح أنفه ، وتدمع عينه الرمداء ، فتضع أصبعها على مكمم الداء ، حتى قبل أن ينبثق الطفح المألوف في اليوم الرابع من المرض ، فتكتمل للطبيب الناشئ صورة المرض الموصوفة في الكتاب !

لإنها من هذه الناحية تستحق وساماً من أوسمة أبقراط !  
ولكنها من حيث العناية بطفلها المحصوب لا تستحق في العادة أكثر من الرثاء والتوبيخ ! . . .

لإنها تقتل ابنها المحصوب قتلا في بعض الأحيان !

إن نظرة واحدة إلى أى رسم يبانى لمعدل الوفيات العامة في القطر المصرى لتريك أن هذا المعدل يرتفع مرة كل عامين ، فيكون له بين الفترة والفترة سناسم كسناسم البعير .

والحصبة هي المسئول الأول عن هذا السناسم ، لانتشار أوبثتها

في مصر مرة كل سنتين ، ولأنها تقضى في كل وباء على حياة أولوف من الأطفال الأبرياء .

إن الحصبة في نفسها مرض رقيق لا يقتل ، ولكن مضاعفاتها - وأخطرها الالتهاب الرئوي والتهاب المعدة والأمعاء والتهاب المخ - هي وحدها التي تخط القبر للطفل المسكين .

والحصبة في نفسها كذلك لا دواء لها ، ولا بد أن تقضى أيام ضيافتها كاملة في جسم المحصوب ، وإنما يعالج الطبيب مريض الحصبة علاجاً يقيه - أو يداويه - من عوادي السعال والإسهال ، أي من غوائل « الحانوتى » واللحاد !

والوقاية في هذه الحالة أيسر من العلاج ، فتنظيف فم المريض وحمايته من البرد ، وعزله في غرفة جافة دافئة متجددة الهواء ، يقيه عادة من الالتهاب الرئوي ، والحرص على نظافة طعامه ، والتخفيف منه ، كفيل برد عادية التهاب المعدة والأمعاء . . .

ولكن أنتى لسواد الأمهات المصريات أن يدركن هذا ، وغاية ما يحتشدن له في هذه الظروف هي كسوة المريض من رأسه إلى قدميه باللون الأحمر ، وحشو بطنه بالعسل الأسود ، كأنه هو الترياق . . إن اللون الأحمر لا قيمة له في ثوب المريض ، وقد ينفعه في ستر مصادر الضوء في غرفته ، لأن الضوء البراق يؤذى العين الرمداء . . ومثل اللون الأحمر في هذا أى لون سواه .

والعسل الأسود كذلك قد لا يضر القليل منه إذا كان نقياً لم تلوثه

الجراثيم ، فهو مسكر مخفف له نفع كغذاء ، ولكن الكثير منه لذاع للمعدة والأمعاء ، قابل للتخمر فيهما ، وهو كذلك مائدة طيبة للذباب ، وقلما يسلم طبق العسل المهمل من ذبابة تقع عليه فتحقنه بألوف الجراثيم التي تورث التهاب المعدة والأمعاء .

ومضاعفات الحصبة أقرب إلى الطفل الصغير منها للكبير ، وهي أفنك بهذا منها بذلك ، وفرق العام الواحد يحدث فجائع كما يحدث معجزات ، ومن هنا نشأت دعوة الأطباء الدائمة إلى عزل كل طفل يحم ، ويزكم ، وتحمير عيناه ، عن إخوته ولاسيما الصغار ، حتى يتنى الشك في أنه محسوب .

ولكن سواد الأمهات يؤمن بأن الحصبة قدر لا مفر منه للأطفال ، فيضعن السليم منهم بجوار المريض حتى يعدى الكل دفعة واحدة اختصاراً لمشاكل التمريض الطويل ، وتهويناً لنفقات الطبيب ، وقد تكون الحصبة كما يزعمن ، فإن عدواها أسرع من سريان النار في الهشيم ، وقلما يسلم الطفل من عدواها على مر السنين إلا إذا كان قد أصيب بها من قبل . . ولكن هذه السياسة مع ذلك سياسة طائشة ، أو قل هي مؤامرة غير مقصودة بين الأم وبين الموت على أصغر أطفالها سنّاً وأضعفهم على الكفاح والنضال .

إن فخر تعريف الحصبة إلى العالم منذ ١١ قرناً كمرض قائم بذاته يعود إلى « الرازي » الطبيب العربي القديم . . .

أترى يأتي اليوم الذي نستطيع أن نقول لروح الرازي فيه :

« ونحن العرب قد وضعنا السبع الضارى فى القفص وكفنا عن أطفالنا أذاه بالتحصين » .

إن الجواب عن هذا السؤال متروك للأم العاقلة ، فهى وحدها التى تستطيع أن تقرب هذا اليوم ، وتجيّب عن هذا السؤال بالإيجاب .



خدعوك فقالوا :

إن البرص هو الجذام .

إن العلم لم يقض حتى اليوم على الكوليرا ولا على التيفوس ، وإن كان قد استطاع كبح جماحيهما وإلزامهما الأدب في التعامل مع الناس . وكذلك الشأن في مرض الجذام ، وإن كان قد اختفى أو كاد من أوروبا بعد عصر النهضة والتصنيع والرخاء الاقتصادي العام ، فإنه لا يزال يدمغ بطابعه أحد عشر مليوناً من البشر مبعثرين في كثير من بقاع العالم المتخلف أو الآخذ من النماء . . . ولكنه لم يعد بفضل العلاج الحديث ذلك المرض المخيف الرهيب الذي كان يشوه أجساد ضحاياه ، ويمثل بهم ويدفعهم دفعاً إلى التحلل البطيء ، فإن هذا العلاج الذي أنفذ أشعة الأمل في الحياة التعسة المظلمة التي كان يحياها المجدومون ما زال يستغرق بضع سنوات ، يتحتم فيها على المريض أن يكون في مثل دقة الساعة من حيث مراعاة النظام في أخذ الدواء . . .

سجن .. كم كان فيه من مظالم !

إن المصير الذي كان يساق إليه المجدومون كان مصيراً زاحراً بالأهوال ، ويكفي كأمثلة للتدليل عليه - أن نشير إلى الأمر الذي أصدره روميس الثاني سنة ١٢٥٠ قبل الميلاد بنى ٨٠٠٠ مجذوم ، إلى بقعة مجهولة على حافة الصحراء ، لم يعرف لهم فيها مصير حتى الآن ،

أو الأمر الذى أصدره فيليب ملك فرنسا الملقب «بالطيب» فى سنة ١٣١٣ ، والذى كان يقضى بإحراق كافة المجذومين فى فرنسا أحياء .. ولقد كان الجذام يختلط تشخيصه فى ذلك الوقت بكثير من الأمراض الجلدية التى تشبهه فى سمة أو أخرى من سماته المتعددة ، كالبهاق والزهرى والقوباء والصدفية ، بل حَبَّ الشباب فى بعض الأحيان !! وكم سيق من ضحايا هذه الأمراض . إلى مقابر الأحياء التى كان يعيش فيها المجذومون ليقضوا نحبهم هناك . ولذلك لا يعجب المرء من الخلط بين البرص والجذام حتى فى التوراة .

### نجاسة

فى التوراة المعربة أن الرب كلم موسى قائلاً : « إذا كان إنسان فى جلد جسده نائى أو قوباء أو لمعة تصير فى جسده ضربة برص ، يؤقى به إلى هارون الكاهن ، أو إلى أحد من بنيه الكهنة ، فإن رأى الكاهن الضربة فى جلد الجسد ، وفى الضربة شعر قد ابيض ، ومنظر الضربة أعمق فى جلد جسده فهى ضربة برص وهو إنسان أبرص . لأنه نجس ، فيحكم الكاهن بنجاسته . . . ويقم وحده وخارج المحلة يكون مقامه » ولا شك أن هذا المرض الموصوف فى التوراة هو الجذام ، وأن النجس المشار إليه هو المجذوم . . .

### البرص فى لغة العرب

إن البرص فى لغة العرب مرض يحدث فى جسم المريض كله قشراً

أبيض ، ويسبب للمريض حكاً مؤلماً . فالمرض الذى يصنع ذلك ليس هو الجذام . فالجذام يشل أعصاب الحس فى الجزء المصاب ، لأن ولعه شديد بأعصاب الإحساس . . . . . ولعل المرض الأكثر انطباقاً على هذا التعريف اللغوى للبرص هو مرض « الصدفية » الذى يتميز بظهور بقع حمراء فى جلد المصاب ، تغطيها قشور فضية بيضاء ، تشبه قطرات من الشمع الذائب سكبت على جلد المريض أو قطع من النقود الفضية تناثرت فوق جلده هنا وهناك . ومرض الصدفية على عناده فى العلاج ، وكثرة انتكاسه بينه وبين الجذام من حيث الخطورة ما بين الأرض والسماء !

### الجذام والأديان

ولم تكن علاقة الجذام بالتوراة هى علاقته الوحيدة بالأديان . . . . . فقد ارتبط كذلك بالمسيحية ارتباطاً وثيقاً ، وانبعث الاثنان كما يقول بيرتون روتيه مؤلف كتاب أحد عشر رجلاً أزرق ، الذى ترجم للعربية بعنوان « بوليس الأمراض » انبعثا من خرائب روما ، واقترحما أوروبا دون عائق فى دياجى القرون المظلمة ، وبلغ كلاهما أشده خلال شفق القرون الوسطى الطويل ، وأعقب اعتناق المسيحية فى أرجاء أوروبا كافة ، اعتناق مثله لوقت المجذومين . . . . . وفى سنة ١١٧٩ أصدرت الكنيسة مرسوماً قالت فيه : « إن عزل المجذومين - وإن كان يتم بطريقة سليمة - يجرى بسرعة ممقوتة ، وبلا احتفال ، وإنه يتحتم

في المستقبل حين يتم تشخيص حالة مصاب بالجدام من -أحد الأطباء ( أو كما جرى العرف يومئذ أن يكون حق التشخيص للقضاة ) ألا يتم العزل فور التشخيص ، ولكن تسبقه حفلة كحفلات الجنازة يرتدى فيها المريض كفنًا ، ويشيع من أقاربه وذويه تشييع الأموات . ويقام على روحه صلاة الجنازة على ضوء الشموع ، ويلقن تلقين الموتى ، ويقاد إلى مقبرة الكنيسة فينثر عليه ترابها ثلاث مرات يقال له في أثنائها: « كن من اليوم ميتاً بالنسبة للعالم وحيياً بالنسبة لله » .

### الجدام والطب

إن الطب بمنجزاته الحديثة قد جعل عزل المجذوم أمراً لا ضرورة له على الإطلاق . وأكثر المجذومين يعيشون اليوم أحراراً كمرضى السل سواء بسواء، بل إن اللقاح الواقي من السل وجد أنه يقي من الجذام كذلك في معظم الأحوال ، والمرضان كأنهما أبناء عم أو أبناء خال ، كلاهما مرض اجتماعي ، وكلاهما يبدد بهجة الرخاء ، وكلاهما يستجيب للعلاج المنظم الطويل .



خدعوك فقالوا :

### إن المكلوب ينبع كما ينبع الكلب

المكلوب هو المصاب بداء الكلب ، والكلب مرض يصاب به الإنسان عادة من عضه حيوان مسعور . وليس بين الأمراض مرض كالكلب تمشى في ركابه حاشية ضخمة من الأباطيل :

**وأولى هذه الحاشية:** أن الكلب « بسكون اللام » هو مصدر المرض الوحيد : وليس هذا من الحقيقة في شيء ، لأن المصدر الرئيسي للمرض هو الذئب ، ومنه انتقلت العدوى إلى الثعالب وبنات آوى والكلاب والقطط وأشباهاها من الثدييات آكلات اللحوم ، ومنها تصاب الثدييات الأليفة آكلات الأعشاب كالجمال والحمير ، وأخطر عضه من هذه الناحية هي عضه الذئب وتليها في الشراسة عضه الهر ، ثم عضه الكلاب .

**وثانيها :** أن إصابة الإنسان بالكلب لا تنشأ إلا من عضه حيوان

هائج مسعور . . . وهذا باطل ، فإن الحيوان الكلب قد يعدى وهو في فترة حضانة المرض ، وقبل أن تظهر عليه أية أعراض . . . وفوق ذلك فإن الأعراض في بدء ظهورها قد تكون من اللطف بحيث إن الكلب المصاب يصبح أشد مودة لمخالطيه مما كان ، وإذا لعق أيديهم في هذه المرحلة ، وفي جلدها خدش ، فقد يصاب المخالط بالمرض

دون أن يحسب لذلك أى حساب . ثم إن لعاب الحيوان المسعور ، قد يصبح أشد ما يكون عدوى فى دور المرض الأخير وهو دور الشلل العام ، بل إن هناك نوعاً من الكلب يسمى بالكلب الأخرس يتميز بالشلل فى كافة مراحلها ، ويقع على الكلب المصاب فى مدة يومين أو ثلاثة أيام ، ومع ذلك يكون لعاب الكلب فيه أفحش ما يكون إعداء .

**وثالثتها :** أن كل إنسان يعضه كلب مكلوب لا بد أن يصاب بالداء . . . وهو وهم لا يستند من الواقع إلى أساس ، وفى بعض الإحصائيات العلمية التى عملت على عدد ضخم من عقرتهم حيوانات مسعورة ، ثبت أن عدد الإصابات بالكلب لم يزد على ١٠٪ ممن عضتهم الحيوانات فى منطقة العنق والرأس ، و ٤٪ ممن عضتهم فى الذراعين ، وأقل من ذلك فىمن عضتهم هذه الحيوانات المسعورة فى السيقان ، ولعل بعض السر فى ذلك أن جرثومة المرض « الفيروس » تختلف فى الضراوة بين حيوان وحيوان ، كما أن العضة تختلف فى شدتها ، وفى مكانها من الجسم من حيث عريه أو تغطيته بالثياب . وعدد العضات نفسه قد يكون عاملاً مقررراً لمصير المصاب .

وأشيع هذه الحواشى من الأباطيل ، وهى **رابعتها :** أن الإنسان المكلوب ينبج كما تنبج الكلاب ، ويهيم على وجهه كما تفعل الكلاب المكلوبة ، فيعقر كل من صادفه فى الطريق : وليس هذا من الجلق فى شيء ، ولقد نفاه طبيب فرنسى يدعى بيير جوزيف ديزولت

في مقال نشره سنة ١٧٣٦ ، ولكن الخرافة ظل صداها يتردد في سمع الأجيال برغم ذلك ، حتى وصل إلينا بكامل زخرفه سنة ١٩٦٧ في كتاب محترم جاء فيه أن الإنسان المصاب بالكلب يصاب بآلام غريبة في موضع الجرح حتى ولو كان قد حدث منذ عدة أشهر ، وكان الجرح قد أصبح كامل الاندمال ، ثم تعاود المصاب حمى خفيفة ، وتعاوده نوبات من التقلص في عضلات البلع يصحبها ألم فظيع ، وتستثيرها أبسط المؤثرات لرؤية الماء «ومن هنا نشأت تسمية المرض قديماً بمرض الخوف من الماء» ، وهي الأخرى تسمية باطلية ، فإن المريض يكون شديد الشوق إلى الماء ، وهو لا يخافه ، ولكنه يخاف ابتلاعه وما يقترن به من عذاب أليم . وقد يصاب المريض بقلق تقطعه فترات من الاستكائة والهدوء ، وقد يصاب في حالات نادرة ببعض أعراض الهياج ، ويتلو ذلك شلل عام يعقبه الموت في وقت قصير .

إن المريض قد يصرخ من ألم البلع ولكنه لا ينبح بنباح الكلاب ، وقد يتهمج من الظماً ولكنه قلما يفقد عقله .

**وخامستها :** أن المرء إذا عضه كلب مكلوب يرسل إلى مستشفى الكلب للعلاج . . . وتلك أكذوبة ضخمة ، لأن مرض الكلب إذا حدث فلا علاج له ألته سواء كان في إنسان أو حيوان .

إن المصاب محكوم عليه بالإعدام حكماً لا نقض فيه ولا لإبرام ، وما من قوة في الوجود تستطيع أن تحول بينه وبين الموت الأكيد . . .

ولإنما يرسل الشخص الذى عقره حيوان إلى مستشفيات الكلب يعطى اللقاح الواقى من المرض « وليس المصل كما يسميه الجهال » وهو يعطى هذا اللقاح على وجه الضرورة لمواجهة الخطر المحتمل إذا كانت العضة بجوار الدماغ ، أو كانت متهتكة الجراح ، أو كانت فى أكثر من مكان ، ولا سيما إذا كانت فى موضع عار من الثياب .

وسادسة هذه الحواشى من الأباطيل ، وإن لم تكن آخرها : أن اللقاح المستعمل الآن فى توقى الكلب هو لقاح باستير . . إن العالم مدين حقيقة لباستيريا بأول لقاح واقى من المرض ، ولكن اللقاح الذى يستعمل الآن ليس نفس اللقاح .

وما أكبرها من حاشية أباطيل تمشى فى ركاب مرض واحد حتى فى عصر العلم والنور! . . .



## خدعوك فقالوا :

## جمرة حميدة !

الجمرة دمامل مجتمعة في مكان واحد ، ويخرج القيح منها من أكثر من موضع ، كما تقول مجلة العربي الغراء ، في مقال جامع لها عن الدمامل .

وتنشأ الجمرة من عدوى بالبكتير العنقودي ، والبعض يسمونه العنبي ، وإن لم يكن له من حلاوة العنب شيء ، برغم ما فيه من ملامح التشابه مع العنقود . وهو « ميكروب » موجود في أنوف كثير من الأصحاء ، وعلى جلودهم ، وفي فضولهم ، ويكثر تبعاً لذلك في منطقة السيلين ، وتلوث الأيدي القدرة منه على الدوام ، وتصبح أداة لعدوى الشخص نفسه أو الآخرين .

و« الميكروب » العنقودي لا يكون في أضرى حالاته حين يخرج من شخص سليم ، وإنما تبلغ ضرأوته قصارأها حين يكون صاحبه مصاباً بالتهاب كهوف العظم الأنفية ، أو بالزوائد اللحمية في بلعومه ، أو بدمل نزاز ، أو بالتهاب الأصابع المسمى بالداحوس .

وتوصف الجمرة الناشئة من « الميكروب » العنقودي بأنها حميدة تميزاً لها عن الجمرة الحبيشة الجلدية التي تنشأ من عدوى « بميكروب » أشد خطورة من عدوى « الميكروب » العنقودي بكثير . وهي عدوى

تصيب الماشية والحيول وتقتلها ، وتخرج جراثيمها مع فضول الحيوان المريض ، فتلوث شعره وجلده ، وحين يذبح هذا الحيوان خفية ( لأنه لو أخذ إلى المذبح لصودر وأعدم هناك ) يحمل القصاب جلده أو ملحقاته على كتفيه ، فيصاب بالحمرة الحبيثة في هذا المكان ، وهي حمرة غاضبة ضارية ، سوداء كثيراً ما تقود ضحيتها إلى القبر إذا لم تسعف بالعلاج . وكانت هذه الحمرة الحبيثة في الماضي تصيب بعض المثقفين ، نتيجة استعمال فرش الحلاقة المصنوعة من شعر الحيول الملوثة ، والتي كانت تستورد من الخارج غير مصحوبة بشهادة تثبت خلوها من هذا الميكروب الخطير .

بيد أن « الميكروب » العنقودي وإن كان « ميكروباً » طبعاً مسالماً في الأغلب ، فإنه أحياناً يتضرى ويتمرد ويحدث الدمامل . وقد يزداد تمرداً وضراوة فيحدث الحمرة الموصوفة بأنها حميدة ، برغم أنها ليس بها شيء يحمد أو يستحب أو يستساغ على الإطلاق ، فهي - ولاسيما حين تحدث في البقا - تؤلم وتضايق وتزعج أشد الإزعاج ، وهي - وإن كانت تنتهي في الأغلب على خير بعد أن ترى صاحبها نجوم الظهر - تتأبط الشر إذا كان المريض مصاباً بالسكر ، أو كان خائر المقاومة ، مهدم حصون الدفاع لأى سبب من الأسباب .

ثم إن « الميكروب » العنقودي - على أنه « ميكروب » مسالم - له سفالة أخرى ، فهو من « الميكروبات » التي تفرز سموماً تسمم الطعام ، ولاسيما الطعام الذى لا يؤكل لوقته ، وإنما يترك يبيت ليستعمل

في اليوم التالي دون أن يحفظ في ثلاجة يحول بردها دون تولد «الميكروب» .  
 ونعود إلى الجحمة التي ليست بحميدة ولا مستحبة ، والتي يحدثها  
 «الميكروب» العتقودي ، فنقول إنها نوع من أنواع المظاهرات التي  
 يحدثها هذا «الميكروب» ، وإن كانت من أعنف مظاهراته ، ومن  
 أليها ، ومن أشدها قسوة على المريض ، وإن كانت في العادة لا تمت .  
 ولو قلنا إنها جحمة حمقاء ، لكان القول أشبه بها ، فالحمق  
 قد يؤذى ، وقد يزعج وقد يغيظ ويسئ مثل الجحمة العتقودية تماما ،  
 وإن كان مثلها . . . لا يميت !

والشأن في وصف هذه الجحمة بالحميدة كالشأن في وصف بعض  
 الأورام غير السرطانية بنفس الصفة تمييزاً لها عن أورام السرطان ،  
 المدمرة ، والتمردة على كل نظام . . .

إنها هي الأخرى ليس فيها ما يحمد أو يستطاب . وكل ما فيها  
 تشويه ، ومضايقات ، وتوقع دائم للبلاء ، وانتظار أن يتحول هدوؤها  
 الظنين إلى عاصفة ، فلو وصفت هي الأخرى بالأورام المسالمة أو  
 الخاملة أو الخاملة لكان الوصف أقرب إلى واقعها المرعب . . .

بيد أن شيئاً آخر يلفت النظر في مقال الدماطل القيم في مجلة  
 العربي الغراء وهو دعوة مريض الدماطل إلى الذهاب للطبيب في بعض  
 الأحوال دون بعض . فيذهب إليه حين يكون مريضاً بالسكر ، وحين  
 تصاب العين بالدماطل ، وحين لا تنتهي الدماطل إلى رأس ، أي  
 لا تنضج ولا تنبت فتلفظ ما فيها من صديد ، أما في غير ذلك فليس

المفروض أن يجري المريض إلى الطبيب في كل صغيرة ، فليس في أمة من الأطباء ما يكفي لهذا أو بعض هذا ، ولكن على المواطن أن يفرق بين الصغير والخطير . ويحمى نفسه بنفسه بالقدر المعقول .

إنها دعوة خطيرة ومحزنة ، ولاسيما حين تصدر من الكويت حيث لا يفوقها من حيث نسبة عدد الأطباء إلى عدد السكان ، إلا قلة ضئيلة من دول العالم . . .

إن المرء يجب عليه وجوباً أن يجري إلى الطبيب في كل ما يصيبه صغر أو كبر ، لأن المرض عملية تتطور باستمرار ، ولا تثبت على حال . والصغير فيها قد يكبر ، والقليل منها قد يزداد ، والصغائر فيها كثيراً ما تتحول إلى كباثر ، والزغب الذي يكسو فراخ الأمراض سرعان ما يتحول إلى ريش ، بل إلى سهام كسهام المنون .

بل فوق ذلك فإن الإنسان لا يجوز أن ينتظر حتى يمرض ثم يعرض نفسه على الطبيب . إن عليه أن يتعامل مع الطبيب حتى وهو سليم ، فإن المرض كثيراً ما يظل كامناً في الجسم لا يعلن عن نفسه ، إلا إذا ثبت جذوره ، وأرسى قواعده على قرار مكين . وحين يبدأ المرض في الإعلان عن نفسه بالإعراض والنذر ، فكثيراً ما يكون قد تجاوز الطاقات الحالية لمعارف العلم وجهود الأطباء ، وأصبح يستعصى على كل علاج ، إلا علاج الأعراض ، وما أبخسها من غاية وما أتعسه من علاج !

إن الطب لسوء الحظ لا يعرف العلاج الحاسم عادة إلا للأمراض التي تكتشف في أوائلها ، أما إذا أزممت وتغلغلت في الجسم فإن الطبيب

كثيراً ما يقف أمامها كالأبله .

إن العيب الأزلئ فى تطبيق الطب فى الشرق كله ، و يبدو أنه عيب خالد ، أن نهمل الصغائر حتى تتحول إلى كبائر . ولو تعودنا أن نزور الطبيب بين الحين والحين - حتى ونحن أصحاء - لضمننا أن نكتشف أمراضنا الظاهرة والخفية فى وقت مبكر ، وأن نعالجها وعلاجها من أسهل الأمور على الطبيب .

إن هذا هو الطب فى العصر الحاضر ، والإدارات الصحية الرشيدة هى التى تبحث عن المرضى بين الأصحاء ، ولا تنتظر حتى يأتوا هم على أرجلهم إلى الطبيب بعد فوات الأوان . . . وكل طب عدا ذلك قصور من جانب الإدارات الصحية ، وجهالة من جانب المرضى ، و . . . و . . . و . . . ربنى ماذا أقول ؟ . . . لأقلها بصراحة وأمرى إلى الله . . . وقلة تربية علمية من جانب الأطباء !



٣٠

خضعوك فقالوا :

## إن الرومانزم ينشأ من الأملاح !

أهم وظائف الكلية أن تنفض من الدم ما لا حاجة للجسم إليه من بقايا الطعام المهضوم ، وهى تقوم بهذا العمل بوساطة ملايين من المرشحات الدقيقة الفذة ، ترشح مع البول ما زاد من هذه البقايا على معدل معلوم .

وليست الأملاح التى يتردد اسمها على أفواه المرضى والأطباء إلا أنواعاً من هذه البقايا ، توجد فى البول على الدوام ، ومنها ما يعطيه رائحته المعروفة ومنها ما يسبغ عليه لونه الخاص .

وزيادة هذه البقايا فى البول إذا كانت الكلى سليمة لا تدل على مرض ، وقلتها فيه ليست معياراً للصحة ، فقدارها إنما يتوقف — عند سلامة الكلى — على نوع الطعام الذى تأكله ، وعلى مقدار غناه أوقفه إلى هذه المواد .. والحكم على الجسم بالمرض لوجود أملاح فى البول يشبه الحكم على مدينة بالقذارة لأن لها مقلباً للزباله !

بيد أن هذه البقايا قد يكون لها مدلولها على الصحة والمرض إذا قيست فى الدم وكان معدلها فيه أعلى كثيراً من الحد المألوف . . وهو شىء لا يحدث عادة إلا وفى الكلية آفة تعوقها عن نفض ما كان ينبغى أن تنفضه من هذه الفضول ، أو فى جهاز الهضم عيب يراكم هذه

البقايا في الدم إلى حد يعي طاقة الكلية ونشاطها المحدود .

وهي إن تراكمت في الدم - لأى السببين - فقد تحدث أمراضاً ليس الروماتزم من بينها على أية حال .

لقد يحدث مرض النقرس ، وهو وجع مؤلم يبدأ عادة في المفصل الأكبر لإبهام القدم ، وأكثر ضحاياه من أصحاب البطنة الفاجرة ، والماضى المشرف في التهام اللحوم ، ومن أجل ذلك سمي بداء الملوك! وقد تؤدي إلى التسمم البيولى المعروف وهو مرض قاتل ينشأ عندما تشل قدرة الكلية وتعجز مرشحاتها عجزاً تاماً عن إخراج هذه الفضول .

أما الروماتزم فمرض قائم بذاته، وهو عدوى « بميكروب » خاص هو الذى يسبب التهاب اللوزتين وبعض خراييج الأسنان ، ولبعض الناس حساسية مرهفة خاصة لهذا الميكروب ، تسبب الروماتزم .

وليس كل ألم في المفصل روماتزمياً ، فالروماتزم له صورة محدودة هي صورة التورم في مفصل أو أكثر وانسكاب السوائل فيه ، والوجع الهائل ، وانتقال هذه الأعراض من مفصل إلى آخر ، مع حمى تصيب المريض ، ومضاعفات في القلب يعيا تحتها عن أداء بعض عمله الهام .

إنما تنشأ آلام المفاصل عادة - عندما تسلم هذه المفاصل من مثل هذه الآفات الخاصة - من وجود بؤرة « ميكروبات » في مكان ما بالجسم تفرز سموها في الدم ، ويخفى وجودها على إدراك المريض ، وقد يخفى كذلك على فطنة الطبيب .

فوجود خراج مضمّر تحت سن من الأسنان ، أو التقيح المزمن في إحدى اللوزتين أو كليتهما أو في الكهوف العظمية بالجمجمة ، أو السيلان المزمن في الجهاز التناسلي للرجل والمرأة أو الإمساك المستعصي - كل هذا أو مثله خليق أن يدفع إلى الدم بفيض من سموم « الميكروبات » لا ينتهي ، يؤدي المفاصل الرقيقة وسواها من الأعضاء والأحشاء . وقد تنشأ آلام المفاصل كذلك من البدانة ، فإن المفاصل أشبه ما تكون « بالونشات » لا تقوى على أكثر من حمولة معينة . . . أو من نقص بعض عناصر الغذاء الكامل في الطعام كالحديد مثلاً وبعض الفيتامينات الموجودة في البرتقال والليمون ومن هنا نشأت عقيدة العامة في علاج هذه الآلام بشرب عصير الليمون عدة أيام - وبطريقة خاصة - وعلى الريق !

أما الأملاح فخرافة ضخمة وهي بقية من بقايا القرون الوسطى ، وقصور العلم فيها عن تعليل كثير من خواص الصحة والمرض في الإنسان . وكثيراً ما يلجأ الطبيب إلى تشخيص علة مريضه بالأملاح ليخرج من مأزق الجهل بالتشخيص الصحيح . وثمة قلة من الأطباء العارفين يضطرون اضطراراً للانسحاق مع التيار ، ومجراة المرضى الذين رسخت في نفوسهم جذور هذه الخرافة ، فيعالجونهم من المرض الجاني عليهم ، ويزعمون لهم كارهين أنهم يعالجونهم من الأملاح !

لا نتخدع بعد اليوم بقصة الأملاح فإنها أسطورة خرافية ، والعلم لا يعترف بها الآن ، وليس لها في سجلاته اسم ولا عنوان ، وإذا

عزا الطيب مرضه إليها ، فالجأ إلى طيب سواه يعرف مغام الطب  
من معارف القرن العشرين ، ووفر لنفسك منذ اليوم المال الذي تدفعه  
لمعامل التحليل - مع بول ٢٤ ساعة ! - لاكتشاف الأملاح ! !



### خدعوك فقالوا :

#### إن الحمى الروماتزمية تنشأ عن « فيروس »

ما أقل المعارف عن الحمى الروماتزمية ! وما أكثر المجاهيل ! وما أضحى الحقائق فيها ! وما أشد ما تبهم الأباطيل ! إن من المعارف الشبيهة بالحقائق عن الحمى الروماتزمية مثلاً أنها في حوالى ٨٦ ٪ من حالاتها تبدأ في أعقاب عدوى بفضيلة معينة من فصائل « الميكروب » السبحي الذى يؤدى كذلك للحمى القرمزية وحمى النفاس والحمرة ، وبعض حالات التهاب الأذن والرئتين ؛ ولكل من هذه الأمراض شهرته وخطورته وشيوعه في بعض الظروف وبعض الأوقات ، غير أن الـ ١٤ ٪ الباقية من حالات الحمى الروماتزمية ، والتي لم تسبقها إصابة سافرة « بالميكروب » السبحي ، ألفت ظلاماً على هذه الحمى من حيث أصلها ونشأتها ، واحتمال حدوثها من عدوى « فيروس » خاص . و« الفيروسات » جراثيم أصغر كثيراً من « الميكروبات » ولها طابعها الخاص ، من حيث العدوى ، والمناعة عليها ، ومدى قابليتها للعلاج بالأدوية والعقاقير ، وسلوكها في المختبر وفي البيئة وفي الإنسان ، ومن أمثلتها « فيروسات » الحماق والجدري ، والحصبة وشلل الأطفال والزكام ؛ وقد كنت أظن هذه النظرية ولدت ميتة ، ولكنى وجدتها تنشر في « يوميات طبيب » بجريدة الأخبار الغراء ، وإن كانت في شحوب الأموات . ولنبدأ القصة من أولها .

## استهداف

قلت إن ٨٦ ٪ من حالات الحمى الروماتزمية تأتي في أعقاب عدوى « بالميكروب » السبحى ، بيد أن الحمى لا تأتي في أعقاب هذه العدوى مباشرة ، ولكن بعدها بفترة من الزمن تكاد تكون ثابتة في تراوحها بين الأسبوعين والثلاثة الأسابيع ( بمتوسط ١٨ يوماً ) . وقد فتح هذا باب الاحتمال لوجود مواد خاصة في هذا النوع من « الميكروب » السبحى ، تلدع أجسام بعض المصابين ، فتستجيب هذه الأجسام للذعما بثورة غضب ، من مظاهرها الحمى والآلام المتنقلة في المفاصل ، والتهاب القلب وتضخمه وظهور اللغظ فيه ، وما إلى ذلك من أعراض الحمى الروماتزمية التى تختلف تصانيفها باختلاف الأفراد ؛ أى أن هذه المواد أشبه ما تكون بالمواد التى تحدث فرط الحساسية في بعض الأشخاص فيستجيبون لها بالربو تارة أو بالشرى « الأرتكاريا » تارة أخرى ، أو بالإسهال .

## أهو صنف بذاته من الناس ؟

وأكثر من تحدث فيهم الحمى الروماتزمية هم أكثر الناس إصابة بعدوى « الميكروبات » السبحية . وهم الطبقات الفقيرة ، التى يغلب عليها شظف العيش ، ونقص التغذية ، والعادات الخاطئة ، وسوء المسكن ورطوبته ، وازدحامه بالسكان ، وكثرة أفراد الأسرة الواحدة ،

وما يؤدي إليه ضيق الحال في هذه الظروف من توزيع اللقمة بين عدة أفواه ، وتوزيع الغرفة بين عدة سكان ، وتوزيع تراب المكناس بين الجميع بالعدل والقسطاس . إن « الميكروب » السبحى « ميكروب » شديد المقاومة نسبيا للهواء والجفاف ، فهو يستطيع أن يعيش في هذه البيئات زمنا أطول في الهواء ، والتراب ، وعلى الأغصان والفرش وثياب المريض ، بعد أن يخرج من حلق المريض أو حامل الجراثيم في السعال والعطاس . وبنفس قوة انتشار « الميكروبات » السبحية في هذه الأوساط الفقيرة ، يكون انتشار الحمى الروماتزمية في هذه الأوساط .

### تصريح جرىء

على أن الحمى الروماتزمية وإن كثرت في البيئات ذات الوسائل المحدودة ، فهي ليست غريبة على البيئات الأسعد منها حالا ، والأصح مسكنًا ، والأطيب عادات ، والأوفر غذاء . فالمسألة إذن ليست مسألة بيئة وحسب ، ولكن فيها عاملا آخر يجعل سكان القصور يتقاسمون المرض مع سكان الأكواخ ، وإن كان حظهم منه أقل من حظ الآخرين . لقد لوحظ أن الآباء إذا كانوا من ضحايا الحمى الروماتزمية فإن احتمال إصابة الأبناء بالمرض يكون أكبر من احتمال الإصابة في لداتهم الذين ولدوا من آباء أصحاء ؛ كما لوحظ أنه إذا كان الأبوان الاثنان مصابين بالروماتزم ( وليس كل ألم في المفاصل روماتزما )

فالأغلب أن يستهدف عدد كبير من أولادهم للحمى الروماتزمية ،  
 في أعقاب العدوى « بالميكروب » السبحي الخاص ، سواء أكانت  
 التهاباً في اللوزتين أو دحاساً في الأصابع ، أو ما إلى ذلك من التهابات .  
 ولا تجد هذه الملاحظات تعليلاً لها إلا في قوانين الوراثة ، ومن أجل ذلك  
 أدهشني أن أسمع في التليفزيون ذات ليلة أحد الزملاء الأطباء يرد على  
 سؤال عن الحمى الروماتزمية ، وهل تلعب الوراثة فيها دوراً ؟ فينفي أى  
 دور للوراثة في هذا الصدد ؛ وهو تصريح أقل ما يقال فيه إنه تصريح  
 جرىء !

## « الفيروس » لا يستجيب لعلاج السلفا

### والبنسلين

قلنا إن ٨٦ ٪ في حالات الحمى الروماتزمية تأتي في أعقاب عدوى  
 « بالميكروب » السبحي تسبقها بعدة أيام . وإن هذه الحمى تكثر  
 حيث تكثر هذه العدوى ، وإن الوراثة تمهد الطريق لاختيار المصابين ،  
 وإن ١٤ ٪ من المصابين لا يصابون بعدوى سافرة « بالميكروبات »  
 السبحية . وأقول « سافرة » لأن من المحتمل جداً أن تكون العدوى في  
 حد ذاتها خفية ، يستطيع الجسم أن يتغلب عليها ، ويدفع أذاها  
 المباشر ، كما يحدث في كثير من عدوى الأمراض الأخرى ، ولكنه  
 لا يستطيع أن يهرب من جزىء « الميكروب » الذي يؤدي إلى استئثاره

الأنسجة في الأشخاص المفرطى الحساسية ، لهذا الجزىء من «الميكروب» .  
 يبقى بعد ذلك أن نقول إن كل حالات الحمى الروماتزمية ،  
 في نوباتها المتتالية ، يمكن توقيها مائة في المائة إذا أعطى المريض  
 « بالميكروب » السبجى علاجاً كافياً بالسلفا والبنسلين ، وتلك  
 قاعدة بلا استثناء . ولا يوجد « فيروس » واحد يمكن توقيه بهذا  
 الأسلوب « فالفيروسات » تهزأ بالسلفا والبنسلين عادة وبسواهما من  
 مضادات الجراثيم ، والذي يستخلص من ذلك أن الحمى الروماتزمية  
 بنت من بنات « الميكروب » السبجى ولا تربطها « بالفيروسات »  
 أية آصرة من أواصر النسب بأى حال من الأحوال .

### الطريق الأسهل

والطريق الأسهل لتوقى نوبات الحمى الروماتزمية في الأشخاص  
 الذين أصيبوا بها هو أخذ حقنة من حقن البنسلين الطويل المدى كل  
 خمسة عشر يوماً لقطع دابر « الميكروبات » السبجية كلما خطر لها  
 أن تدخل الجسم خفية أو علانية ، وأن يستمر ذلك طوال خمس  
 سنوات . أما استئصال اللوزتين فقلما يفيد لأن « الميكروب » السبجى  
 يمكن أن يصيب الحلق بعد الاستئصال . بل لعل لإصابته في هذه  
 الحالة تكون أشد منها قبل الاستئصال وأسوأ ما في هذا الاستئصال أنه  
 ضمان زائف لأمان مكذوب !

خدعوك فقالوا :

### إن البصل يقي من العدوى

كان البشر منذ عهد بعيد يعرفون العدوى ، ولكنهم يجهلون كيف تنشأ ، فقد ظلت «الميكروبات» سرّاً مغلقاً من أسرار الطبيعة ، لم يقهرها على البوح به إلا باستير وكوخ وسواهما من أفاض العلماء في النصف الأخير من القرن التاسع عشر .

وكان هذا الجهل بمنشأ العدوى يفسح الطريق لنظريات عديدة لتعليل العدوى ، تحتل كل منها مكان الصدارة في عقول البشر حيناً من الزمن ثم تموت .

عزيت الأوبئة في البداية إلى غضب الآلهة ، ثم إلى نقمة الشياطين ، ثم إلى فعل السحرة ، ثم إلى الروائح الكريهة التي تتصعد من المستنقعات ومن مجامع الأقدار .

وباسم النظرية الأخيرة سميت الأمراض البوابية بالأمراض «العفنة» ولا يزال هذا الاسم يتردد على أفواه العوام حتى الآن عندما يتكلمون عن مستشفى الحميات .. وباسمها سميت الكوليرا بالهواء الأصفر ، وسميت الملاريا باسمها هذا وهو يعني باللاتينية «الهواء الرديء» .

وباسم هذه النظرية كذلك راح الناس يستعينون على الروائح الكريهة بروائح أقوى منها دفعا للأوبئة ووقاية من العدوى ، ووجدوا في البصل

رائحة قوية نفاذة فاتخذوه دريئة من الأمراض .

لقد ماتت هذه النظريات كلها بطبيعة الحال في ضوء العلم الحديث ،  
ولكن بقاياها الخرافية ما زالت - حيث ينتشر الجهل وتشح أنوار الثقافة -  
تملاً عقول الجهلاء .

فقدرة الآلهة على دفع المرض ما برحت ماثلة في أضرحة الأولياء ..  
والشياطين ما زالت كودية الزار تخرجها حتى اليوم بوسائل شتى  
من جسم المريض « الملبوس » !

والسحرة والسحرة ما فتئ المؤمنون بهما أكثر من المؤمنين بالطب  
والطبيب ! .. فأى عجب في أن نرى البصل والتبغ يستعان بهما حتى  
اليوم كلما دخل السليم على مريض ! ؟

كل قنطاراً من البصل ، ودخن مائة سيجارة ، وادخل على مريض  
الحصبة مثلاً أو الأنفلونزا ، فلن يغنيك هذا كله عن العدوى إذالم تكن  
لديك مناعة ضد هذه الجراثيم .

يحتاج كثير من العامة على انتفاء العدوى بقول النبي صلى الله عليه  
وسلم « لا عدوى ولا طيرة » . وشأنهم في هذا شأن المحتج بقوله تعالى :  
« يأيها الذين آمنوا لا تقر بوا الصلاة » . فبقية الآية الكريمة « .. وأنتم  
سكارى » وبقية الحديث الشريف « .. وفر من المجذوم فرارك من الأسد ! »  
إن العدوى ليست شيئاً محتوماً ، أو ضربة لازب كما يقولون ؛  
إن لها شروطاً عديدة من ضراوة « الميكروب » ومن حصانة المخالط  
للمريض ، إلى غير ذلك ، ومالم تتوافر هذه الشروط لا تكون العدوى ،

ولعل هذا هو المقصود بصدر الحديث الشريف « لا عدوى .. »  
أى ليست العدوى حتماً محتوماً ، وإذا توافرت هذه الشروط فهيات  
أن تنجو من العدوى ولو كنت فى برج مشيد من رؤوس البصل والثوم  
ومن أرق أنواع التبغ والسيجار !!



خدعوك فقالوا :

### إن الكحول مطهر فعال

التطهير هو قتل جراثيم البكتريا والفيروسات المسببة للأمراض وإبادة البذور المدرعة التي تجعل لبعض هذه الجراثيم قدرة على إحاطة نفسها بها ، لتحميها من قسوة البيئة ومن سوء الظروف . وقد يرتقى التطهير إلى مرتبة التعقيم حين يقتل كافة الجراثيم - الضار منها وغير الضار - في وسط من الأوساط .

وقد يهبط إلى مرتبة تعويق الجراثيم عن النمو ، دون أن يجهز عليها ، بحيث لو زال فعل المعوق لبدأت هذه الجراثيم تعيد سيرتها في التكاثر ، والتضري وارتكاب الآثام من جديد .

### بعض من كل

ومن أمثلة التطهير استعمال الكي أو الغلي الكافي لتطهير الملابس وتطهير ماء الشرب المرشح بغاز الكلور ، وتطهير الجلد بصبغة اليود ، أو محلول الميركروكروم ، ولا سيما حين يذاب في الكحول .

ومن أمثلة تعويق تكاثر الجراثيم وضع اللبن المبسطر أو المغلي في الثلجة بعد معالجته بالحرارة ، لحين استهلاكه ، لمنع تكاثر البقية الباقية من الجراثيم فيه ، لأن البرودة تمنع تكاثر الجراثيم وإن كانت لا تقضى عليها القضاء الأخير .

ومن أمثلة التعقيم تعقيم الأدوات الجراحية ، والمحاقن ، وضمادات الجروح وثياب المرضى بالبخار المضغوط القادر على إبادة الحياة الجرثومية تماماً ، في كافة الصور والأشكال .

ومن أمثلته كذلك تعقيم اللبن برفع درجة حرارته إلى ذورة عالية تحت ظروف تسمح بإبادة الجراثيم جميعاً ، دون إضرار مذكور بالعناصر الغذائية فيه ، وهي عملية تختلف تماماً عن بسطرة اللبن التي لا تقضى إلا على الجراثيم الضارة . . واللبن المعقم يستعمل في كثير من البلاد ، ومنها العراق ، ولا تحتاج زجاجات اللبن المعقم لوضعها في الثلجة ، لأن التعقيم قضى على كافة صور الجراثيم فيه .

### أين الكحول من هذه المراتب الثلاث ؟

وموقف الكحول من هذه المراتب الثلاث من مراتب التطهير هو موقف المعوق لنمو الجراثيم .  
ولكنه أحسن من لا شيء .  
إنه شرطى .. لا جلا د !

ولقد يمكن أن يقال بوجه عام إنه أذنى من كل مطهر للجروح ، ولكنه أحسن من لا شيء .

إنه في تطهير الأيدي أقل من كل مطهر آخر - حتى الماء والصابون اللذين يزيلان الجراثيم لإزالة - ولكنه مع ذلك أحسن من لا شيء .  
وهو في تطهير الترمومترا - مقاييس الحرارة - أقل من كل شيء .  
ومع ذلك فهو أحسن على نفس المنوال من لا شيء .

والخير في هذه الأحوال الثلاث التي اشتهر الكحول فيها كمطهر ،  
 أن يسبق استعماله على الدوام ، استعمال الماء والصابون لطرد أكثر  
 الجراثيم من الجلد الجريح ، ومن الأيدي الملوثة بفضول الأنوف والأمعاء  
 ومن أسطح الترمومترات المستعملة في جس حرارة المرضى بوضعها في الأفواه ،  
 أو في مخارج الأمعاء .

### عكاكيز أخرى للكحول

ثم إن الكحول في كافة هذه الأحوال يجب ألا يكون نقيًا مائة في  
 المائة ، إذ أنه أقوى ما يكون فعلا من هذه الناحية حين يكون في درجة  
 سبعين في المائة ، أي يختلط بثلاثين في المائة من حجمه بالماء .  
 وإذا أضيف إليه واحد في المائة من حمض من الأحماض زادت  
 قدرته على التطهير ..

وإذا رشح الكحول التجارى المستعمل في البيت بقمع وورقة  
 ترشيح زالت منه أكثرية الجراثيم وكل بذور الجراثيم التي تكون قد  
 علقته به وبقيت حية فيه .

### اعتراض

ولقد يقال مادام الأمر كذلك ، فلم إذن يظهر الأطباء بالكحول  
 جلد «الزبون» قبل حقنه بالدواء ؟ ... وهو اعتراض وجيه . ولكن  
 الواقع فيه أن قطعة القطن المبللة بالكحول التي يدعك بها الطبيب جلد

المريض دعكاً تزييل من فوق الجلد كثيراً من الطبقة المشحونة بالجراثيم ، كما لو كان قد غسل بالماء والصابون. ولقد يمكن رؤية الأثر الذي يحدثه دعك الجلد بقطعة القطن المبللة بالكحول إذا أجريت العملية على جلد قدر لم يغسل بالماء والصابون منذ حين .. إن قطعة القطن تصبح في هذه الحالة أوسخ من عرض إبليس ، وتبدو البقعة من الجلد التي نظفت بهذه الطريقة في وسط سائر الجلد المكفهر بالأقدار كأنها واحة في وسط الصحراء !

والخلاصة أن الكحول قد يستعمل للتطهير أحياناً ولكن حين لا يوجد مطهر سواه ..

وأن عكاكيز التخفيف والتحميض والترشيح وإضافة مطهرات أخرى إليه كالiod أو الميركروكروم قد تساعده على الوقوف بلا خجل بين الصف الأخير من المطهرات .

وأنه حين يستعمل كطهر فلا يجوز أن نطالبه بالمستحيل وهو تعقيم مكان الاستعمال ، فإذا حدث بعد ذلك في هذا المكان ما لا يحمد ، فلنم أنفسنا قبل أن نلوم الكحول « الغلبان » !



خدهوك فقالوا :

مصل .. أو .. لقاح !

ليس للكوليرا « مصل » واق منها ، وإنما لها « لقاح » أو طعم ؛ وقد يبدو هذا الأول وهلة تلاعباً بالألفاظ ، ولكن الواقع أن اللقاح والمصل يختلفان اختلاف الفحم والخشب ... كلاهما يحدث ناراً ، ولكن نار الفحم أبقى ، ونار الخشب أسرع . وكذلك اللقاح والمصل : كلاهما يحدث مناعة ، ولكن مناعة اللقاح أبقى وأدوم ، ومناعة المصل أيسر وأسرع في الظهور .

تعزى المناعة إلى تكون أجسام خاصة في الدم تقاوم « ميكروباً » بعينه عندما يقتحم الجسم البشري هذا « الميكروب » ويعيش زمناً فيه . ولو استطعنا أن نشبه « الميكروب » الغازى بوحش لكانت هذه الأجسام لهذا الوحش كالكمادات تدفع أذاه .

وهذه الأجسام أكثر ما تتكون عندما يصاب الإنسان بمرض معد ثم يبرأ منه ، فإن عدد الكمادات التي يصنعها الجسم عندئذ تكون أضعاف أضعاف عدد الوحوش ، وبمقدار ما يبقى منها في الدم يكون طول المناعة على المرض وقوتها بعد الشفاء .

فبعض الأمراض المعدية تحدث « جراثيمها » مناعة دائمة بعد الشفاء قد تبقى بقاء الحياة ، وبعضها يحدث مناعة ضعيفة كالكوليرا التي لا تستمر المناعة عليها بعد الشفاء منها أكثر من عام .

والأصل في اللقاح أنه تقليد ومحاكاة للمرض ، يطعم المرء فيه بمقادير معينة من « الجراثيم » أو سمومها ، بعد تقليم أظفارها ، وإضعاف ضراوتها ، أو قتلها قتلاً ، حتى تحدث المناعة دون أن تقوى على إحداث الداء .

وبديهي أن عدد الكمادات التي تبقى في الدم في هذه الحالة بعد تكميم « الجراثيم » أو السموم المطعمة ، هو عدد محدود ، وبمقدار هذا العدد الباقي من الكمادات تكون المناعة الحادثة من حيث القوة والدوام . فبعض اللقاحات الواقية - كلقاح الجدري مثلاً - يحدث مناعة قد تدوم خمس سنوات أو أكثر . وبعضها - كلقاح الكوليرا - لا تدوم المناعة التي يحدثها أكثر من ستة أشهر .

وصنع هذه الكمادات في الجسم يتطلب وقتاً ، فلا تحسب أنك عندئذ تأخذ اللقاح الواقى من الكوليرا تكتب صكاً على القدر ألا تصاب ... فخذ اللقاح عندما يتيسر ، ولكن لا تهمل في وقاية طعامك من الميكروب . أما المصل فشئ آخر .. هو كمادات مصنوعة خارج الجسم ، يتخذ الحيوان معملاً لصنعها ، فيحقن الحيوان باللقاح الواقى بجرعات تتزايد مع الزمن حتى يصبح الحيوان قادراً على مقاومة « الميكروب » الحى نفسه ، ثم يستنزف بعض دم هذا الحيوان ، ويفصل منه المصل الحاوى للكمادات الواقية ، ويعطى الإنسان هذا المصل كدواء محضر ، وأكثر ما يستعمل في علاج بعض الأمراض كالدفتريا والتتanos ، ويستعمل في الوقاية من هذه الأمراض نفسها عندما تنشأ المناعة السريعة لتوقع

الخطر المفاجئ، ولكن المناعة الحادثة حينئذ تكون قصيرة العمر ولا تدوم أكثر من بضعة أسابيع .

ومثل هذا المصل الواقي لا ينجع لسوء الحظ في أكثر الأمراض المعدية ، وقد صنع للكوليرا مصل واق ولكن لم تثبت له فائدة حتى الآن . فلا تعد إلى ذكر المصل الواقي من الكوليرا إذن ، فهو شيء يكاد يكون بلا قيمة ، ولا يكاد يكون له وجود .

ولا تركز في الشارع كالمجنون باحثاً عن طبيب تتوسل إليه أن يحميك من الكوليرا باللقاح ، فسيأتيك هذا اللقاح إلى الباب عندما ترى الصحة أنك مهدد تهديداً حقيقياً بالوباء . فلا داعي للذعر في غير موطنه ، ولا داعي للحاجة والإلحاح في طلب اللقاح ، إنك تستطيع أن تتوقى الكوليرا بسهولة إذا كنت أنت ، وطاهيك وبيتك مثالا للنظافة في الطعام والشراب ، ولم تكن « رمراً » تريد كالطفل - أن تأكل من كل ما تقع عليه عينك في الطريق !!



خددعوك فقالوا :

### مصل الحصبة

كما أن الحمل ليس له منقار ، والحمامة ليس لها قتب ، فإن الحصبة كذلك ليس لها مصل ، برغم ما تقرؤه عن هذا المصل الوهمي في الصحف بين الحين والحين !!

إن الحصبة لها « لقاح » واق ، وهو اللقاح الذي تنتوي وزارة الصحة تطعيم كل طفل به في الشهر التاسع من عمره ، لحمايته من مرض الحصبة ومن مضاعفاتها السافلة ، التي تلهب رئتيه أحياناً ، وتلهب أمعائه أحياناً أخرى ، وقد تلهب الأذن والمخ في بعض الأحيان ، ولكل من هذه المضاعفات خطرة على حياة الطفل ، أو على مستقبل هذه الحياة .

ولقد يهون هذا الخطأ الشائع إذا سمعناه من رجل الشارع الذي يحتاج إلى التفريق بين الألفه والمتذنة إلى تلسكوب ، وقد يهون إذا سمعناه من صحفي يخشى إذا حقق ودقق في كل كلمة يقولها أن يسرقه الوقت ويفوته القطار .. ولكن الذي لا أفهمه ولا أستسيغه بحال أن يتحدث عن « مصل الحصبة » أستاذ جامعي في الطب ، في برنامج تليفزيوني مفيد عن الأمراض التي يتحتم علينا أن نحتمي من غوائلها الأطفال .

نعم ... إنها قد تكون عشرة لسان ، وقد تكون محاولة للنزول إلى

مستوى الخطأ الشائع الذى يدركه السامعون . ولكن يبقى بعد ذلك أن تكرر الخطأ على هذه الصورة وتثبيته فى الأذهان ، لا يليق من أستاذ ،

### اللقاح جراثيم أو سموم

إن اللقاح جراثيم مقتولة ، أو مهذبة ، أو سموم جراثيم عولجت بطريقة تكفكف من ضراوتها ، ثم تعطى هذه أو تلك للكائن البشرى فلا تحدث فيه مرضاً ، ولكنها مع ذلك تنبه جهاز المناعة فى الجسم ، وتدفعه إلى إفراز مقدار ضخم من الأجسام المضادة لهذا النوع أو ذلك بالذات ، من الجراثيم أو السموم ، فلا تكاد جرثومة أو سم منها يهاجم الجسم بعد ذلك حتى تنبرى له هذه «الترسانة» من الأجسام المضادة فتشل عمله وتمنع أذاه ، أو تقلل من هذا الأذى بحيث لا يؤدي إلى أية أضرار .

ويحتاج الجسم إلى بعض الوقت لإنتاج هذه الأجسام المضادة ، ولكنه حين يبدأ إنتاجها ينتجها بمقادير هائلة ، تشبه ما يفرز منها ، فى أثناء المرض بهذه الجراثيم أو السموم ، إذا أبل المريض من مرضه ، وتماثل للشفاء ، لذلك فإن المناعة التى تحدثها هذه اللقاحات تكون قوية الأثر عادة ويطول عمرها عدة سنين ، وقد يبقى فعلها أحياناً ما بقيت الحياة .

### انتصارات اللقاح

ومن السهل عن طريق هذه اللقاحات الواقية أن تتقى بعض الأمراض

اتقاء كاملا إذا عرفنا متى يعطى اللقاح ، ومتى يعزز بشيء من التنشيط .  
والحدري والدفتريا وشلل الأطفال من هذه الأمراض التي يمكن  
استئصالها من المجتمع تماماً ، إذا تم تلقيح الطفل وتحصيله عليها بناء  
على خطة موضوعة ، وفي المواعيد التي يقررها الطبيب .

وشبيه هذه الأمراض مرض الحصبة ومرض السعال الديكي ومرض  
السل ومرض الكزاز المعروف بالتتانوس ، فإن لها كلها لقاحات واقية ،  
ثبت نفعها في الوقاية من المرض ، أو تهذيبه على الأقل وتقليل أظفاره  
إذا جاء . ومن أجل ذلك ينصح الأطباء جميع الآباء بحماية أبنائهم  
من هذه الأمراض .. أو مما تحدثه من أفاعيل سوء ، بتحصينهم  
ضدها باللقاحات ، بل إن الأمر لم يعد في بعض هذه الأمراض أمر  
نصائح ، ولكنه أصبح مفروضاً بحكم القانون ، يعاقب الآباء إذا  
قصروا فيه .

### • شيء من التاريخ

أما المصل فقد أصبح أو كاد يصبح من حيث توقي الأمراض -  
قصة من قصص التاريخ .

إن المصل هو الجزء السائل من دم حيوان عولج بلقاح ما حتى تكونت  
في دمه أجسام مضادة للجراثيم أو السم الموجود في هذا اللقاح . وحينما  
تقوى مناعة الحيوان على هذه الجراثيم الدخيلة أو سمها ، يستنزف

جزء من دم الحيوان ، ويستخلص مصله بما فيه من الأجسام المضادة ، وهو مقدار قليل منها بطبيعة الحال يتناسب مع مقدار الدم المستنزف وبعض هذه الأمصال يستعمل حتى اليوم في علاج بعض الأمراض كالدفترية والتتانوس . وكان بعضه يستعمل في الوقاية من المرض تحت ظروف خاصة من التعرض للعدوى ولكن بعد أن عمم استعمال اللقاحات ، لم يعد لاستعمال هذه الأمصال في الوقاية مكان .

وكثيراً ما كان المصل ينهى إعطاؤه بكارثة لأن بعض الأجسام يكون مرهف الحساسية له بنوع خاص .

ثم إن المناعة التي كانت تحدثها هذه الأوصال لم تكن تطول أو تبقى في الجسم لأكثر من أسبوعين أو ثلاثة أسابيع ، ثم تنفى فناء الدخان في الهواء .

وفوق هذا فإن عدد الأمراض التي كانت تنقى بهذه الوسيلة كانت أقل عدداً من أصابع اليد .

ولقد كانت المزية الوحيدة لها أنها كانت على قصر المناعة الحادثة منها ، تهب للمرء حصانة سريعة ضد عدوى حدثت فعلاً بمرض من هذه الأمراض ، ولكن حتى هذه المزية أصبحت اللقاحات الأصلية تفوقها فيها إذا أعطيت في مواعيدها وبمقتضى النظام المرسوم ، بحيث لا تترك فرصة للحاجة إلى الحصانة السريعة التافهة التي كانت تحدث في أعقاب حقن مصل من الأمصال .

## أمصال لم يعد لها وجود

إن مصل التتانوس مثلاً أصبح في بعض البلاد الغربية قصة تروى عن شيء كان يستعمله « أهل زمان » !

فتحصين الأطفال بلقاح التتانوس ، وتلقيح الجنود في الميدان ، في فترات معينة ، قضى نهائياً على هذا المرض في هذه الفئات ، كما قضى على أية حاجة لاستعمال مصل التتانوس سواء في مجال الوقاية أو في مجال العلاج .

ولقد أوشك الأمر في الدفتر يا أن يصبح كذلك في هذه البلاد .. وقد كان هذان المصلان أهم الأمصال المستعملة في كفاح الأمراض .

أما غيرهما من الأمصال فقد تولى إلى ظلمات التاريخ منذ زمن طويل .

## كن مثقفاً ..

تعود إذن أن تفكر تفكير المثقفين حين تفكر في حماية طفلك من الأمراض باستعمال اللقاحات ، ولا تفكر أبداً في مصل الجدري أو مصل الحصبة أو مصل الكلب أو مصل السل ، فإن هذه الأمصال لا وجود لها ، وهي بقية من بقايا المعلومات المنقرضة ، والأخطاء التي يتنزه عنها المثقفون ،

إنها الحمام الذي له قتب ، والحمال التي لها منقار !

فتأمل قليلا في الحمام الذى حولك . والحمال التى تراها سائرة  
فى الطريق . فإن وجدت للأولى قتباً ووجدت للثانية منقاراً كان للحصبة  
مصل مضاد !



خدعوك فقالوا :

### إن « الميكروبات » كلها أشرار

تقترب كلمة « الميكروبات » في نفوسنا دائماً بشعور الخوف والخزع من الأوبئة والأمراض ، ويبعث ذكرها في قلوبنا رعباً غامضاً من فواجع القدر المجهول . ولا نكاد نذكر « ميكروبات » التيفويد أو الدفتريا ، أو السل ، وما تحصد من ضحايا كل عام ، حتى نقشع أبداننا هلعاً من هول هذه الكائنات الخفية ، التي قد تكون واقفة لنا بالمرصاد على حافة كأس أو ثنانيا لقمة أو ربما قبلة حلوة من شفاه نشوى بنحمر الحب والربيع والشباب !

إن « الميكروبات » ليست كلها من هذا النوع المتمرد الشرير .. « فالميكروبات » الشريرة لا تعدو أن تكون قلة لا يعتمد بها في عالم ضخم من هذه الكائنات الدقيقة ، يعيش في الهواء الذي نتنفسه ، وفي الماء الذي نحتسيه ، وفي القوت الذي نطعمه ، وفي الأرض التي تطعمنا وتمدنا بالخير والنعاء ... ويساهم بنصيب هائل في خدمة الكائنات الحية جميعاً ، وحمايتها ، والتيسير لها في أسباب الحياة .

إن البنسلين وأشباهه من العقاقير نعمة من نعم « الميكروبات » وقطعة الجبن ، ومضغة الزبد كلها من آلاء « الميكروبات » ونشوة الكأس فضل على طلابها من أفضال « الميكروبات » .

إننا ننظر إلى حفنة من تراب حديقتنا فنخالها جماداً لا حياة فيه ، ولكن الواقع أن كل جرام واحد منها يموج بما لا يقل عن مائة مليون

من « الميكروبات » النافعة ، يضل بينها عدد تافه من « ميكروبات » الأمراض ، ولولا جهود هذه « الميكروبات » النافعة لما ترعرع نبت في الأرض ، ولا تفتحت زهرة لطل السندي ، ولا أتبع القوت لحي من الأحياء ، ولأصبحت الأرض مستنقعا هائلا للأكدار ، والأفذار .

إن هذه « الميكروبات » التي تزخر بها الطبقة السطحية من الأرض تقوم للمملكة الحيوانية ، بأسرها بدور « الزبالين » الذين لا يكتفون بجمع الزبالة والفضول والجيف المستحيلة ، وإنما يعالجونها كذلك بطرق تمنع أذاها ، وتحيلها من طبيعتها العفنة الكريهة إلى إكسير نافع يمد الأرض بالخصب ، ويمد السندي والزهر بالقوت والحياة ، وكل مزارع المجارى في العالم ومعظم وسائل علاج القمامة إنما ينهض أكثرها على أكتاف هذه الميكروبات . فهي - وإن قامت للحيوان بدور الزبال - تقوم للنبات بدور الطاهي « والسفرجي » وموزع الطعام ! ... وهكذا تشرف « الميكروبات » على رعاية هذه الدورة الحيوية الخالدة التي تمثل فيها الأرض مصنعا « لطوب البناء » يبني منه جسم الحيوان ، فيعيش ما شاء الله له أن يعيش ، ثم يموت ويبيى ، فينتشر الطوب في الأرض ، ويعاد صنعه ليدخل في بناء النبات ، فينمو ويكبر ، ويؤتي ثمرة ويرد « الطوب » من جديد إلى مصنع الأرض فتبني منه « الميكروبات » جسم الكائن الحي الوليد .

بل إن أجسامنا نفسها عامرة بملايين « الميكروبات » النافعة ، تقوم في أمعائنا مقام الحرس ، الساهر ليل نهار ، محاولا قدر استطاعته دفع ما يعتادها بين الحين والحين من « ميكروبات » الأمراض .  
 إن كان لنا بين « الميكروبات » أعداء ألداء فلنا منها بلزاء كل عدو واحد مئات من الأصدقاء الأوفياء ، ولو كان في بني آدم بمقدار ما في « الميكروبات » من خير وشر لطابت الحياة .

خدهوك فقالوا :

إن غلى اللبن لا يقتل الميكروبات

وحدة الهدف

إن غلى اللبن وبسطرته عمليتان يقصد بهما قتل الجراثيم المسببة للمرض فيه، وكلتا العمليتين - وإن اختلفتا من الناحية الفنية - نتيجهما واحدة من حيث الوصول إلى هذا الهدف المقصود والقضاء على جراثيم الأمراض التي تصل إلى اللبن من الحيوان الحلوب نفسه ، أو فم الحالب وأنفه في أثناء العطاس والسعال ، أو يده حين يبصق فيها - لعنة الله عليه - وهو يستدر الحليب من ضرع الحيوان أو في النهاية من البائع الغشاش الذى رأيناه يصلى الفجر حاضراً ، ثم يميل على أول ترعة تصادفه في الطريق ، فيضيف إلى ما معه من اللبن ، مثله من الماء القدر الملوث بكثير من الجراثيم ، ثم يحلف لك بالطلاق من زوجته الاثنتين أن لبنه حر لم يمسه ماء !

قائمة خسائر

ولقد يفقد اللبن بالغلى وبالسطرة بعض الفيتامينات الموجودة فيه ، وقد يختلف الأمر قليلاً بين العمليتين في هذا المجال ، ولكن اللبن على أى حال لا يستمد أهميته في الطعام من الفيتامينات التي توجد فيه بمقدار صغير ، وإنما يستمد أكثر هذه الأهمية من غناه بالمواد البروتينية النفيسة ، البانية للجسم ، والمرممة لأنسجته ، والمعوضة له عما يفقد من خلاياه .. ثم من نصيب اللبن العظيم من الأملاح المعدنية ، وفي مقدمتها الكلسيوم

الذى يعد من عناصر الغذاء الرئيسية ، والذى يعد اللبن من أهم وأوفر مصادره فى الطعام ... وكلا المواد البروتينية والأملاح المعدنية لا يتأثران إلا تأثيراً طفيفاً بعملية تحرير اللبن من جراثيم الأمراض . فلئن كان اللبن يفقد جزءاً من هذا الفيتامين أو ذلك بالغلى أو بالبسطرة فأن الخسارة ليست ذات شأن يذكر ، وفى غير اللبن من الأغذية التى نقتات بها عوض عن الجزء الذى يضيع من للفيتامينات .

### حقيقتان أخريان

هذه حقائق أولية خاصة بغلى اللبن أو بسطرتة ، ومن الممكن أن يضاف إليها حقيقتان : الحقيقة الأولى أن الغلى هو العملية الأبسط ، والمقدور عليها فى كل بيت ، والمعروفة لكل أم على ضفاف النيل منذ فجر التاريخ .. إنها عملية بسيطة ، رخيصة ، زكاهة للزمن ، وعرفها حتى قليات الحظ من الثقافة بين الأمهات . أما البسطرة وتلك هى الحقيقة الثانية فعملية معقدة تحتاج إلى معرفة فنية واسعة ، وإدراك علمى دقيق ، كما تحتاج بعد إتمامها إلى تبريد اللبن بعد بسطرتة مباشرة والاحتفاظ به فى ثلاجة حتى لا تعود للقلّة من الجراثيم التى داخت ولم تمت بالحرارة إلى التكاثر من جديد ، وإن هذه العملية إذالم تم حسب مواصفاتها المعروفة ، فإنها تعطى شعوراً زائفاً بالأمان ، وتصبح مصدراً لخطر لا يوجد منه فى غلى اللبن وتبريده إلا القليل ..

### عجائب

هذه كلها حقائق بسيطة : ولكن إحدى شركات بسطرة اللبن

تحاول أن تهدم هذه الحقائق في إعلان لها بالتلفزيون . فهي تزعم أولاً أن غلى اللبن لا يقتل كل الميكروبات فيه .. وهذه أكذوبة ، فإن الغلى من هذه الناحية قد يكون أفضل من البسطرة في بعض الأحيان ، خصوصاً إذا كانت البسطرة لا تستوفي كافة مستلزماتها ، وكان المبسطرون لا يخضعون للتفتيش الصحى كما يحدث في كثير من الظروف . وهى تزعم ثانياً أن الغلى يضيع كافة الفيتامينات من اللبن ، وهى أكذوبة أخرى ، لأن الغلى لا يختلف عن البسطرة من هذه الناحية إلا اختلافاً طفيفاً لا يؤثر في قيمة اللبن الغذائية بحال. بيد أن الأكذوبة الأخطر من هاتين : هى القول بأن اللبن المبسطر مأمون على الدوام ، فإن اللبن المبسطر ما لم يوضع في ثلاجة إلى أن يستعمل ، قد يصبح كالمأمون الذى يؤتى منه الحذر ، وهوشىء يعرفه بعض زبائن اللبن المبسطر !

### هل الإعلان رب غفور

قد يقال إن الإعلان يباح فيه أحياناً ما لا يباح ، وإنه يعفو عن كثير، ولكن من المؤكد أنه لا يعفو عن الكذب أو يتسامح فيه ، فإن الكذب ليس من مصلحة المعلن نفسه، والدقة العلمية يجب أن تتوافر للإعلان الحازم الرشيد . نعم إن من المستطاع أن تمط الحقيقة العلمية في الإعلان بعض الشيء هنا ، أو تنصير بعض الشيء هناك ، ولكن بدون أن تخفى هذه الحقيقة أو تضيع ، أو تزهر روحها بحال .

### الشمال التى لا تعرف عن اليمن

إن بالتلفزيون برنامجاً للتربية الصحية ولكن يبدو أن هذا البرنامج

الموجود في طابق من بناء التليفزيون الشاهق ، وبرنامج الإعلانات الموجود في طابق آخر ، والاتصال المنعدم تماماً بين الطابقين ، مثل شمال المؤمن التي لا تعرف شيئاً عما تتصدق به اليمين . أو مثل اللسان الذي يسبح بذكر الله بدون أن يدرك شيئاً عن اليد التي معه في جسم واحد ، والتي تسرق ، أو تعتدى على الغير ، أو تضع لهم ماء الرعة الملوثة في الحليب !! ... إن برنامج الإعلان في التليفزيون تحتاج إلى عملية بسطرة حقيقية وليست كالبسطرة التي يرفض أصحابها الخضوع للتفتيش الصحي المفروض .

### عصفور في اليد

ولعل من الخير أن أهيب في النهاية بالقراء أن يغلوا اللبن في بيوتهم وأن يتركوه يغلي على نار هادئة ، بضع دقائق خصوصاً في الصيف ، فإن في ذلك أماناً حقيقياً ضد كافة الجراثيم المعدية التي قد يحملها اللبن الحليب إن الغلي عصفور في يدنا وهو خير من العصافير العشرة التي على الشجرة والتي لا يمكن بحال التأكد من وجودها في اللبن المبسطر غير الخاضع للرقابة الصحية في كل الخطوات ، وكل الأوقات ..

## خدعوك فقالوا :

### إنك مريض بالدوسنتاريا

الدوسنتاريا هي الإسهال المصحوب بالمغص ، المشوب بالدم والمخاط . وليست الدوسنتاريا مرضاً قائماً بذاته ، ولكنها سلسلة أعراض تنشأ من عدة أمراض يختلف بعضها عن بعض اختلافاً جوهرياً في السبب ، وفي وسائل العدوى ، وفي طرق العلاج .

وشأن الدوسنتاريا من هذه الناحية شأن « الحمى » فالحمى ليست إلا ارتفاعاً في درجة الحرارة ، سواء أكان سببه التهاباً بسيطاً في الاورتين ، أم تيفوداً في الأمعاء ، أم دفتريا في الحلق ، أم خراجاً في العظام ... إن هناك مائة سبب وسبباً للحمى ، أى ارتفاع درجة الحرارة ، كما أن ثمة أسباباً عديدة للدوسنتاريا ، التي ليست إلا مجموعة أعراض متشابهة ، لعدة أمراض يختلف بعضها عن بعض ، اختلاف الدفتريا والطاعون والملاريا والتيفود . فالدوسنتاريا الأميبية مثلاً - التي تصيب معظم المصريين - مرض من أمراض القذارة و« الرزمة » ينشره عدم غسل الأيدي قبل الطعام ، وترك الأطعمة للذباب يسرح عليها ويمرح كما يشاء وأكل الخضر « بعلها » أى بدون غسلها بالماء الجارى والتأكد من زوال ما عليها من الأكدار .

ومثلها في طرق العدوى . وإن اختلف عنها تماماً في وسائل العلاج ، الدوسنتاريا « الميكروبية » ، التي لا تنشأ عن ميكروب واحد ، ولكن من عدة « ميكروبات » يختلف بعضها عن بعض في الضراوة والفتك وسرعة الاستسلام للعلاج .

ومن الدوسنتاريا ما يحدث من بلهارسيا الأمعاء التي تصيب أكثر من خمسين في المائة من سكان شمال القطر لخوضهم في الماء الملوث بأجنة هذه الديدان ، وهذا النوع - وإن تشابه وسواه في الأعراض - يختلف عنه اختلافاً بيناً في السبب والعدوى والعلاج .

ومنها ما ينشأ من الملاريا الحبيثة ، واكتظاظ الأوعية الشعرية في الأمعاء بطفيليات هذا المرض الخطير .

بل إن من الدوسنتاريا ما تحدثه طفيليات أخرى بلا عدد ، بعضها من ذوات الأهداب ، وبعضها من ذوات الأذنان ..

هذه تنشأ من أكل السمك الذي لم يتم نضجه وتلك من تناول لحم الخنزير ... وثالثة من أكل الفسيخ الحلو ، إلى آخر ما هنالك من للوسائل والأسباب . وكما أننا لا نقبل الآن كلمة الحمى كتشخيص لما نعاناه من سقام ، يجب كذلك ألا نقبل كلمة الدوسنتاريا دون أن نسأل عما وراءها من آلاف العلل والآلام .



## خدعوك فقالوا : استؤصل المصران (١) الأعور

المصران الأعور لا يستأصل ، فإنه جزء هام من الأمعاء ، يشاظرها كثيراً من الوظائف والأعضاء ، وهو إذا التهب فشأنه شأن سائر الأمعاء ، ينفض العفن إلى الخارج ؛ ويعتل حيناً ثم يماثل للشفاء ؛ إنما الذي يلتهب ، فيطغى ، فيهدد الحياة ، فيستأصل هو الزائدة الدودية ، وهي نتوء من المصران الأعور لا عمل له ولا وظيفة ، إلا أن يشعر ابن آدم أنه في ريعان شبابه ، وعنقوان مجده .

إنه لا شيء إزاء قدر الله . وإن نسمة سارية من نيمات هذا القدر تستطيع أن تعصف به وبغوره وطموحه وتكالبه على الحياة .

وسمى المصران الأعور كذلك لأنه أشبه ما يكون بالزقاق المسدود بين الأمعاء الدقاق والأمعاء الغلاظ ، تصب الأولى فيه « ببوابة » وديدبان ، وتخرج الثانية منه مخرجاً سهلاً بلا باب ولا حراس ، ولكن مصب الأولى ومخرج الثانية في جانب واحد من هذا الزقاق المسدود ...

وعلى مقربة من نهاية الزقاق في الجانب الأيمن من أسفل البطن « عطفة » تتصل به ، وتتدلى منه ، هي الزائدة الدودية التي تشبه دودة الأرض ، وهي طلل من أطلال عضو قديم كان الإنسان يستعمله يوم كان يعيش على الأعشاب ، وقبل أن يتذوق اللحوم .

وعندما تلتهب الزائدة الدودية تنسد فتحتها في المصران الأعور فلا يجد العفن المتراكم طريقه إلى الخارج ، فيزدحم في هذا الفراغ الضيق ، بما فيه من « ميكروبات » وصدئ ، وتضيق به الزائدة الملتهبة بعد حين

(١) المصران : مفردة معبر ، وهي المعى .

— إذا لم يسعف المريض بالعلاج — فتنفجر داخل البطن ويعم التهابها الغشاء الجامع للأحشاء . والتهاب الزائدة الدودية مرض من أمراض الحضارة قلما يعرفه البدو البدائيون ، وهو في الحضر أكثر منه في الريف ، وبما يرى له : الإفراط في أكل اللحوم ، وطول الإمساك ، والتعجل في تناول الطعام والبؤر المتقيحة في الجسم — كاللوزتين مثلاً — دون علاج ، والأذى كيفما كان ، يصيب منطقة المصران الأعور ، فيقفل الزائدة ويسدها ، فيجعلها أكثر عرضة للتهاب .

أما التهاب الزائدة بما يصل إليها وينحسر فيها من حب العنب والجوافة والتين الشوكي وأمثالها ، فخرافة أخرى لم يؤيدها التحقيق .

وكثيراً ما تتشابه أعراض التهاب الزائدة الدودية بأعراض علل أخرى داخل الأحشاء ، كقرحة المعدة و التهاب المرارة ، والحمل خارج الرحم ، فتستأصل الزائدة عيباً ، ولا يغني عنها صراخها أنها بريئة والله العظيم !!  
ومن أجل ذلك فإن الجراح الحازم عندما يريد استئصال الزائدة الدودية ، لا يجعل جزعه كالكوّة الصغيرة فوق الزائدة رأساً ، لكي يرضى أنانية المريض — ولا سيما إذا كان سيدة تخشى على جمالها أن تشوهه الندوب ... وإنما يفتح في البطن فتحة محترمة تسمح له أن يبحث عن المجرم الحقيقي ، ويقبض عليه إذا ثبتت له براءة الزائدة وظلم الاتهام . وهو في هذه الحالة يلازم بين حافتي الجرح بطريقة لا تترك منه بعد التئامه إلا خطاً لا تكاد تمييزه غير عين الباحث عن عيوب !! ..  
ومثل هذا قد يحدث في الدوسنطاريا الأميبية — ووطنها الأول هو المصران الأعور؛ فقد تشبه أعراضها أعراض التهاب الزائدة المرمن ، فيشكو المريض من عسر الهضم والانتفاخ ولا يتمياً التشخيص الحقيقي في هذه الحالات بغير التحاليل المختلفة وتصوير الأمعاء .

ولقد شبه التهاب الزائدة المزمن بقبلة تهدد صاحبها في أى وقت بالانفجار ، ولكن تقدم الطب العلاجى في الوقت الحاضر ، جعل هذه الحقيقة القديمة خرافة اخرى تضاف إلى الخرافات الكثيرة التى تراكم كالقمامة في زقاق المصران الأعور المسدود .



# اقرا

سلسلة ثقافية شهرية ، تصدرها دار المعارف منذ عام ١٩٤٣ ، مساهمة منها في نشر الثقافة والعلوم والمعرفة بين قراء العربية .  
صدر خلالها وحتى الآن أكثر من ستمائة عدد لكبار الكتاب منها :

- ١ - قنديل أم هاشم
  - ٢ - أحلام شهر زاد
  - ٣ - سنوحى
  - ٤ - مهد العرب
  - ٥ - من النافذة
  - ٦ - سارة
  - ٧ - من ذكريات الفن والقضاء
  - ٨ - النسيان
  - ٩ - القرآن والتفسير العصري
  - ١٠ - مع الآخرين
  - ١١ - مع العقاد
  - ١٢ - عجائب الأرض والسماء
  - ١٣ - ٤٥ مشكلة حب
  - ١٤ - هؤلاء علموني
  - ١٥ - سندياد في رحلة الحياة
  - ١٦ - رسائل وأسرار
- د . طه حسين  
د . يحيى حقي  
د . محمد عوض محمد  
عبد الوهاب عزام  
عباس محمود العقاد  
د . أحمد فؤاد الأهواني  
د . بنت الشاطئ  
د . شوقي ضيف  
د . مصطفى محمود  
د . حسين فوزي  
محمد التابعي

١٩٩٥/٥٦٠٨	رقم الإيداع
ISBN 977-02-4992-0	الترقيم الدولي

١/٩٥/٢٠

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

obeikandi.com